الباب الخامس

الشخصية

الفصل الأول : بناء الشخصية

الفصل الثانى : الحكم على الشخصية

الفصل الثالث : نمو الشخصية

الفصل الأول

بناء الشخصية

١ – تعريف الشخصية

كل صفة تميز الشخص عن غيره من الناس تؤلف جانباً من شخصيته . فذكاؤه وقدراته الخاصة وثقافته وعاداته ونوع تفكيره وآراؤه ومعتقداته وفكرته عن نفسه من مقومات شخصيته ، كذلك مزاجه ومدى ثباته الانفعالى ومستوى طموحه وما يحمله فى أعماق نفسه من مخاوف ورغبات ، وما يتسم به من صفات اجتماعية وخلقية كالتعاون أو التسامح أو السيطرة هذا كله إلى ما يتسم به من صفات جسمية كالقوة والجمال ورشاقة الحركات وحدة الحواس .. لذا نستطيع أن نعرف الشخصية بأنها جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التى تميز الشخص عن غيره تميزاً واضحاً .

غير أن الشخصية يبعد أن تكون مجرد حزمةمن صفات مستقلة منعزلة بعضها عن بعض ، بل هى وحدة متكاملة من صفات يكمل بعضها بعضاً ويتفاعل بعضها مع بعض ، ويحور بعضها بعضاً ، فالذكاء والمثابرة والتعاون وغيرها لا تبدو فرادى فى سلوك الفرد ، بل تبدو مجتمعة مندمجة تطبع سلوكه بطابع خاص . ذلك أن كل سلوك مهما بدا بسيطاً هو تعبير عن شخصية الفرد بأكملها. فالشخص الذكى المثابر غير الغبى المثابر ، وقد يصبح الأول رجل أعمال ناجح فى حين لا يصبح الثانى أكثر من بائع متجول . والشخص الذكى المتهور غير الذكى المتأنى كذلك الشخص المرح المتعاون يختلف سلوكه عن سلوك المرح الأنانى أو المزاحم ، والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف . وهنا نستطيع أن

نقدم للشخصية تعريفاً أدق فنقول إنها نظام متكامل من الصفات التى تميز الفرد عن غيره .

على أن هذه الصفات منها مايبرز أثره ويثقل وزنه حين تحكم على شخصية فرد من الأفراد . فحدة الحواس أو قدرة الفرد على التذكر أو مهارته اليدوية أو استعداده الدراسى .. لايكون لها فى العادة وزن كبير إذا قيست إلى قدرته على التعاون مع الناس ، أو على ضبط نفسه ، أو اتزانه الانفعالى ، أو مسايرته المعايير الاجتماعية والخلقية فى بيئته ، بل إن الذكاء نفسه قد يحجب أثره ما يتسم به الفرد من سمات اجتماعية وخلقية . فالدنيا تزخر بأذكياء فشلوا واهتزت شخصياتهم فى أعين المجتمع من سوء علاقاتهم بالناس ، وبعبارة أخرى فمظهر الشخصية البارز هو **المظهر الاجتماعى** وهذا ماحدا بكثير من العلماء إلى قصر الشخصية على الصفات الاجتماعية والخلقية دون غيرها من الصفات العقلية والجسمية .

الشخصية والخلق : الخلق هو الشخصية إذ ننظر إليها فى ضوء المعايير الأخلاقية ، فنحكم على سلوك الشخص بأنه خير أو شر ، صواب أو خطأ ، فالسرقة والخيانة من صفات الخلق ، فى حين أن التفاؤل أو الانطواء أو مرونة التصرف من صفات الشخصية . فالخلق جانب من الشخصية وليس الشخصية كلها . إنه نظام من الاستعدادات التى تمكننا من التصرف بصور ثابتة نسبياً حيال المواقف الإخلاقية والعرف بالرغم من ضروب الاغراء .

الشخصية والمزاج : المزاج كما ذكرنا من قبل ، هو جملة الصفات التى تميز الحياة الوجدانية للفرد عن غيره (أنظر ص ١٧٤) ومن ثم فهو يؤلف جانباً من الشخصية لا الشخصية كلها . وهو جانب يتوقف فى المقام الأول على عوامل وراثية منها حالة الجهازين العصبى والغدى الهرمونى كما يتوقف عن عملية الأيض وعلى الصحة العامة للفرد . لذا كان من العسير تغيير الصفات المزاجية للفرد . فمن الصفات المزاجية ؛ مستوى الحيوية والنشاط ، والمرح أو العبوس ، والخجل ، ودرجة الحساسية

للمثيرات ، والاندفاعية ، وتقلب المزاج .. غير أن «أولبرت» Allport يرى أنه يجب قصر صفات الشخصية على الصفات التى يكتسبها الفرد أثناء نموه وهو يتكيف مع البيئة . وبما أن الصفات المزاجية نتاج الوراثة فى المقام الأول إذن يجب عدم اعتبارها من صفات الشخصية ، ولو أنها تقوم بدور هام فى تلوين السلوك وأساليب التكيف التى يصطنعها الفرد.

الشخصية والذكاء : لا شك أن الشخص يتميز عن غيره بذكائه كما يتميز بقوة أخلاقه أو بسرعة غضبه . لذا فهو جزء متكامل من الشخصية كالخلق والمزاج لكن أغلب علماء النفس وأطباء النفس المحدثين يستبعدون الذكاء وغيره من القدرات العقلية من بناء الشخصية . فاذا أرادوا الحكم على شخصية فرد أو قياسها اقتصروا على صفاته الاجتماعية والخلقية والمزاجية أى الانفعالية ليس غير . وحجتهم فى ذلك ما دل عليه التحليل العاملى من أن الارتباط بين الجوانب العقلية وغير العقلية من الشخصية إرتباط ضعيف لا يعتد به ، وما دلت عليه الدراسات الكلينيكية من أن اضطرابات الشخصية لا تحترم نسبة ذكاء الفرد ؛ فالأمراض النفسية والأمراض العقلية والاندفاعية والقلق الزائد والانطواء الاجتماعى شائعة بين العباقرة قدر شيوعها بين ضعاف العقول . وفى حياتنا اليومية نرى أشخاصاً ذوى شخصيات ممتازة مع أن ذكاءهم عادى أو دون المتوسط ، وآخرين على ذكاء رفيع مع أن شخصياتهم من النوع المهتز أو المزعج . ويرى فريق آخر من العلماء أنه لا داعى لهذا الاستبعاد .

٣ ــ سمات الشخصية

نحن نحكم على شخصيات الناس فى حياتنا اليومية أحكاماً عامة نخرج بها من انطباعات عامة ، فنقول إن فلاناً ذو شخصية قوية أو جذابة أو مسيطرة أو مهزوزة . غير أن علم النفس لا ترضيه هذه الانطباعات العامة ولا تغنيه. فهو ينظر إلى الشخص الذى تجرى عليه تجربة ، أو الذى يذهب إلى العيادة النفسية للاستشارة فى مشكلة يعانيها ، أو الذى يذهب إلى مركز

التوجيه المهنى طالباً معونته على إختيار مهنة . ينظر إلى هؤلاء نظرة تحليلية من زوايا مختلفة . هذه الزوايا هى ما تسمى «سمات» الشخصية أو «أبعاد » الشخصية aimensionsومفهوم البعد مستمد من مفاهيم العلوم الرياضية والطبيعية . وهو مفهوم عقلى نستنتجه ولا نلاحظه كمفهوم الدافع ومستوى الطموح والذكاء وغيرها .. فالأمانة والسيطرة والميل إلى اعتزال الناس وعقدة النقص والقدرة على احتمال الشدائد من سمات الشخصية (١) أو من أبعادها .

وسمات الشخصية لاعد لها ولا حصر ، لذا يحسن تصنيفها على النحو الآتى تصنيفاً عملياً يسهل دراستها ولو أنه تصنيف غير منطقى لأن اصنافه يتداخل بعضها فى بعض .

١ — **سمات جسمية** : الصحة والجمال والقامة والصوت وسلامة الحواس وسرعة الحركة أو بطؤها ؛ رشاقتها أو خرقها ، والمظهر العام للشخص ... من العوامل الهامة التى تؤثر فى تقدير الفرد لذاته وتقدير الغير له بل وفى شعوره بالأمن وتوافقه الإنفعالى والإجتماعى بوجه عام . كما أن سمته وقوته ومظهره تؤثر فى موقفه من الناس وموقفهم منه . فالطفل القميء قد يستبد به الشعور بالنقص أو يمضى يرثى لذاته إن رأى الناس تسخر منه أو تتندر عليه أو تذكره بعيبه أو تعطف عليه . وقد يهيؤه تكوينه البيولوجى للبلادة والخمول أو سرعة التعب أو الإسراف فى النشاط مما يؤثر فى صلاته بوالديه وفى نمو شخصيته . وحتى فى سن الكبر فالبنية القوية قد تعين صاحبها على الوقوف من الحياة موقف المتحدى مما لا يقدر عليه الضعيف أو السقيم . ولنذكر أن العجز أو

---

(١) السمة لغة هى العلامة المميزة . وهى فى علم النفس صفة ثابتة تميز الفرد عن غيره فهى بهذا المعنى الشامل تضم المميزات الجسمية والحركية والعقلية والوجدانية والاجتماعية ، أى أنها تضم الذكاء والقدرات والاتجاهات والميول والعادات .. ويميز أحيانا بين السمة والقدرة . فالقدرة هى مايستطيع الفرد أداءه والسمة هى أسلوبه المميز فى الأداء ، أى كيفية استجابته .

العاهة الجسمية أو المرض المزمن قد يقف حجر عثرة فى طريق نجاح الفرد ويكون مصدراً لقلقه وتوتره وشعوره بالدونية وعدم الأمن .. وسنرى فيما بعد تأثير الهرمونات فى الحياة النفسية والبلوك .

٢ ــ **سمات عقلية أو معرفية** : الذكاء ، القدرات العقلية الخاصة ، والمعارف العامة والمهنية ، فكرة الفرد عن نفسه ، وجهة نظره وإدراكه للناس وللواقع ... هذه هى السمات التى يرى أغلب العلماء صرف النظر عنها فى الحكم على الشخصية وقياسها

٣ ــ **سمات وجدانية وانفعالية** : الحالة المزاجية . الاستقرار الإنفعالى ضبط النفس ، سرعة الاهتياج ، الاندفاعية .. من هذه السمات مايرتبط ارتباطاً وثيقاً بتكوين الجهازين العصبى والغدى للفرد ، ومنها ما ينشأ من عملية التطبيع الاجتماعى للفرد كمستوى القلق والعدوان والشعور بالذنب .

٤ ــ **سمات دافعية** : كالرغبات والميول والإتجاهات والعواطف والمعتقدات والقيم . وهذه قد تكون شعورية أو لا شعورية .

٥ ــ **سمات إجتماعية** : الحساسية للمشكلات الإجتماعية ، الاشتراك فى النشاط الإجتماعى ، موقف الفرد من السلطة ومن القيم الاجتماعية ، ميله إلى السيطرة أو الخضوع ، إلى التعاون أو التزاحم ، إلى المسالمة أو العدوان ، إلى الاكتفاء الذاتى أو الاعتماد على الغير .. كذلك السمات الخلقية كالصدق أو الكذب ، الأمانة والخداع .

والسمات التى تدخل فى بناء الشخصية وتميز شخصيات الناس بعضها عن بعض هى السمات الثابتة ثباتاً نسبياً ، أى التى يظهر أثرها فى عدد كبير من المواقف ، وليست السمات الموقفية العارضة التى تتوقف على طبيعة الموقف ، أو نوع العمل الذى يؤديه الفرد . فسمة السيطرة هى استعداد الفرد للظهور والتسلط فى أكثر المواقف التى تعرض له ــ نقول فى أكثرها لا فى جميعها . والمثابرة استعداد للاستمرار فى العمل رغم صعوبته وجفافه فى مواقف كثيرة يختلف فيها نوع العمل . والشخص الذى

يتسم بالأمانة ليس الشخص الذى يتصرف بأمانة فى جميع المواقف والظروف على إختلافها ، بل هو الذى يتصرف بأمانة فى عدد كبير منها وفى ظروف أتيح له فيها أن يكون غير أمين . ولو أتفق لشخص سمته ضبط النفس أن يثور مرة أو مرتين إبان فترة طويلة من الزمن فهذا لا ينفى عنه سمة ضبط النفس . ولو كنت تغضب من شخص معين فهذه استجابة شرطية إنفعالية نوعية مرهونة بموقف معين ، أما إذا كنت تغضب فى مواقف كثيرة : من رئيسك ومرءوسك وزوجتك وزملائك وأقاربك .. فى مسائل السياسة والعقيدة والاقتصاد .. فهذه سمة. من هذا نرى أن نفور الفرد من طعام معين أو تفضيله ثوباً معيناً أو محافظته على المواعيد فى عمله فقط لاتعتبر من سمات شخصيته .

فالسمة هى استعداد أو ميل عام ثابت نسبياً إلى نوع معين من السلوك .

السمة متصل بين طرفين continuum

يميل الإنسان إلى أن يرى من الأمور إلا أطرافها غافلا عما بين الطرفين من درجات ومستويات وسطى : فإما سواد أو بياض ، وإما صحة أو مرض ، نوم أو يقظة ، شعور أو لا شعور ، ولا شيء بين الطرفين ، غير أن المنحنى الاعتدالى يعلمنا أن الناس لا ينقسمون إلى مجموعتين متمايزتين من عمالقة وأقزام ، أو عباقرة وأفدام ، أو مسيطرين وخانعين . بل تتوزع هذه السمات وغيرها بينهم توزيعاً متصلا لا ثغرات فيه من طرف إلى آخر ، وأن السواد الأعظم منهم وسط بين هذين الطرفين وخير طريق لتدارك هذا الخطأ هو أن نتصور السمة (البعد) كالثقة بالنفس مثلا ، على أنه خط مستقيم متدرج يمتد بين نقطتين أو قطبين ، أحدهما يمثل أكبر قدر من الثقة بالنفس (درجة ١٠٠ مثلا) والآخر يمثل أقل قدر من هذه السمة (درجة صفر) ، فى حين يمثل منتصف الخط الدرجة الوسطى (٥٠) وبذا نستطيع أن نحدد لكل شخص نقيس لديه هذه السمة موضعاً معيناً على هذا الخط — هذا ينطبق على أغلب سمات

الشخصية . وعلى هذا فبدل أن نقول إن فلاناً مثابر ينبغى أن نقول إنه يتسم بالمثابرة بقدر قليل أو كبير .

السمات الأساسية والسطحية :

يبدو للبعض أن يتساءل عن عدد السمات المختلفة التى تتكون منها الشخصية ؟ وهذا سؤال عسير . وأكبر الظن أننا لو استنبأنا قواميس اللغة لوجدناها تحتوى على آلاف من أوصاف الشخصية وسماتها . غير أن كثيراً من هذه السمات غالباً مايعنى أو يكاد يعنى نفس الشىء، أى غالباً ماتكون مترادفة أو متداخلة أو متقاربة : كالقلق والخوف والرهبة والتوجس والجزع والانزعاج وإضطراب البال(١) . وتحاول مدرسة تحليل العوامل التى سبق أن أشرنا إلى جهودها فى باب الذكاء ، تحاول الكشف عن أقل عدد من السمات الأولية الأساسية التى يتكون منها بناء الشخصية الأساسى .. إن تصرفاتنا اليومية المختلفة تصدر عن سمات سطحية ظاهرة ، وهى سمات متداخلة أو متقاربة أو مترادفة كما ذكرنا ، ألا يمكن رد هذه الكثرة الكثيرة من السمات إلى قلة من السمات الأساسية أو الأولية تكون هى المصدر والأساس أو السبب فى السمات السطحية ؟ وتستخدم هذه المدرسة فى بحوثها ، كما قدمنا ، معاملات الارتباط كمنهج احصائى للاستدلال على مدى تداخل السمات أو استقلالها . فلو كان معامل الارتباط مرتفعاً بين اختبار يقيس سمة التفاؤل مثلا وآخر يقيس سمة المرح ، كان هذا دليلا على أن التشابه بين السمتين كبير ، أو على وجود سمة أساسية غير ظاهرة تجمع بينهما . ولو كان المعامل منخفضاً فهذا دليل على أن التشابه بينهما طفيف أو لا يعتد به أما إن كان المعامل صفراً فهذا دليل على انهما سمتان مستقلتان لا صلة بين احداهما والأخرى ولو ظهر أن الارتباط مرتفع بين سمات الخجل وشدة الحساسية وتجنب

---

(١) مايسميه بعض الباحثين (حيوية ونشاطاً) يسميه آخرون (تحدياً أوعدواتية) ويسميه فريق ثالث (ميلا إلى السيطرة والتسلط) ويسميه فريق رابع (جرأة أو مخاطرة أو استعراضية) .

الاجتماع بالناس ، قيل إن هذه السمات تصدر عن مصدر واحد هو سمة أولية أساسية .

ومن السمات الأولية أو العوامل التى كشف عنها بعض أتباع هذه المدرسة وأكد وجودها : السيطرة أو الخضوع ، الذكورة أو الأنوثة ، الاستقرار الانفعالى ، الاندفاعية ، حب الاجتماع بالناس ، التأمل الفكرى ... كما وجد «جلفورد» Guilford أن الخجل shyness سمة أساسية تصدر عنها السمات السطحية الآتية :

١ — ميل الفرد إلى أن يتوارى فى المناسبات الاجتماعية .

٢ — ميله إلى تحديد معارفه بقلة يختارها .

٣ — ضجره من التعرف على أغلب الناس .

٤ — ميله إلى أن يظل صامتاً حين يخرج فى جماعة .

٥ — عزوفه عن الحديث علانية .

٦ — تفضيله عدم التزعم فى النشاط الاجتماعى .

٧ — استصعابه الحديث مع الغرباء .

أيزنك وبناء الشخصية :

يحاول Eysenck ومعاونوه فى جامعة لندن وصف الشخصية بأقل عدد ممكن من «السمات العريضة» أو الابعاد أو المحاور الرئيسية» المستقلة غير المتداخلة ، وذلك عن طريق الإختبارات الموضوعية الثابتة الصادقة : فمنهجه التجريب والقياس ، وأداته التحليل العاملى . وبعبارة أخرى فهو يطبق المنهج الاحصائى فى قياس الشخصية بطريقة موضوعية . وقد خلص إلى أن لكل شخصية من الشخصيات أربعة أبعاد رئيسية تعتبر كافية لوصف بنائها :

١ — بعد الذكاء .

٢ — بعد يمتد من الانبساط إلى الانطواء .

٣ – بعد يمتد من النضج الانفعالى إلى الفجاجة الانفعالية أو العصابية وهى استعداد الفرد للاصابة بالعصاب وهو المرض النفسى إن تعرض لضغط شديد .

٤ – بعد يمتد من حالة سواء الشخصية إلى الذهانية وهى استعداد الفرد للا صابة بالذهان وهو المرض العقلى .

على هذه الأبعاد الكبرى المستقلة يتفرع عدد ضخم من الأبعاد أو السمات الفرعية الصغرى التى هى أساس تصرفاتنا اليومية . فمن السمات الفرعية التى يحتضنها بعد النضج الانفعالى : المثابرة ، القابلية للايحاء ، مستوى الطموح ، القصور النفسى ، سرعة تكيف الابصار للظلام .

وهذه السمات الفرعية متصلة متداخلة – بعكس السمات الرئيسية – بمعنى أن الشخص الذى يتفوق فى سمة المثابرة ينزع إلى التفوق فى سمة مستوى الطموح والقابلية للايحاء وغيرهما من السمات الفرعية التى تندرج تحت بعد النضج الانفعالى وهذا يعيننا على التنبؤ. فمن كانت درجته عالية فى اختبار للمثابرة مثلا فمن المرجح أن تكون درجته عالية فى اختبارات مستوى الطموح والقابلية للايحاء وغيرهما من السمات الفرعية التى يسلكها بعد النضج الانفعالى .

ويتعين نوع شخصية الفرد بجملة مواضعه المختلفة على الأبعاد الأربعة الرئيسية للشخصية . فشخصية فرد مرتفع الذكاء ، شديد الانطواء ، معتدل فى نضجه الانفعالى تختلف عن شخصية فرد آخر متوسط الذكاء معتدل فى انطوائه ، ويشغل موضعاً مرتفعاً على بعد النضج الانفعالى .

ويختم أيزنك بحوثه بأن تحليلاته الاحصائية لم تتح له الفرصة بعد لتكوين نظرية متكاملة لتفسير الشخصية الانسانية ، بل يعتقد فوق هذا أن مثل هذه النظرية لم توجد بعد .

٣ – تكامل الشخصية

التكامل بمعناه العام هو انتظام وحدات صغيرة مختلفة فى وحدة

منسجمة أكبر وأرقى. والوحدة المتكاملة ليست مجموعة من أجزاء مستقلة مرصوصة ، بل أجزاء متفاعلة بينها علاقات ويجمعها تنظيم معين . ومن أمثلة التكامل فى العالم الفيزيقى : المجموعة الشمسية واللحن الموسيقى واللون الأبيض .. واللوحة الفنية وحدة متكاملة بالرغم من اختلاف أجزائها فى الشكل واللون والرسم . وفى العالم البيولوجى جسم الكائن الحى . وفى العالم الاجتماعى الأمة المستقرة والجيش . وفى العالم السيكولوجى الشخصية السوية المتزنة ، فالشخصية المتكاملة هى الشخصية التى انتظمت سماتها المختلفة فى وحدة منسجمة الأجزاء ، يكمل بعضها بعضاً ، ولا يصطرع بعضها مع بعض .

خصائص الوحدة المتكاملة :

كل وحدة متكاملة تتألف من عناصر وعلاقات بين هذه العناصر وبعبارة أخرى لكل وحدة متكاملة تنظيم معين. وقد تتساوى وحدتان فى عدد ما تحتويه كل منهما من عناصر لكنهما تختلفان اختلافاً كبيراً لاختلافهما فى التنظيم . فمن أربع نقط نستطيع تكوين أشكال هندسية مختلفة ، ومن عشر نغمات موسيقية يمكن تأليف ألحان شتى ، ومن ألف طوبة يمكن بناء مخزن أو جراج أو فيلا . كذلك الحال فى فى الشخصيات المتكاملة ، فكما أن وجوه الناس يحتوى كل منها على عينين وأذنين وفم وشفتين ، لكنا لا نجد وجهين متشابهين كل التشابه. كذلك قد يشترك بعض الناس فى كثير من سمات شخصياتهم ، كالحيوية والثقة بالنفس والبشاشة والتسامح والروح الاجتماعية ومع هذا تمايز شخصياتهم ويختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً وذلك لاختلاف بروز هذه السمات وقوتها من شخصية إلى أخرى .

من هذا نرى أن الشخصية أكثر من مجموعة من السمات لأنها سمات وتنظيم يعكس مابين هذه السمات من علاقات ، وتأثير بعضها فى بعض . وعلى هذا فمجرد حصر سمات الشخصية لا يعطى وصفاً صحيحاً عنها لأنه يغفل عن التنظيم وهو الذى يفرغ على كل شخصية طابعها ويميزها عن غيرها .

وقد يتساوى شخصان فى سمتى السيطرة وحب التملك من حيث القوة والبروز ، ومع هذا تختلف شخصية احدهما عن الآخر . هنا يدل الفحص الدقيق على أن التملك عند الأول وسيلة للسيطرة على الناس وأن السيطرة لدى الثانى وسيلة للاستحواذ والتملك .

وترى مدرسة الجشطلت أن لكل وحدة متكاملة خصائص فذة فريدة ليست مجموع خصائص أجزائها . فللماء خواص غير مجموع خصائص الأوكسجين والايدروجين . وللحن الموسيقى فى جملته خصائص غير مجموع خصائص نغماته . وللشخصية السوية خصائص ليست مجموع خصائص سماتها المختلفة فقد توصف الشخصية بالجمود أو سهولة التكيف ، وهى خصائص تتميز بها من حيث هى كل ووحدة .

ولو حللنا الوحدة المتكاملة عناصر وأجزاء فقدت خصائصها الفريدة . فلو حللنا الماء إلى عنصريه فقد خاصته الأساسية وهى إرواء الظمأ ، ولو فككنا جسم الانسان أصبح جثة هامدة . ولو حللنا الشخصية (وهى صيغة) إلى سماتها ودرسنا هذه السمات فرادى فإن هذا التحليل يمزق وحدة الشخصية ولا يعلمنا عن الشخصية الحية إلا كما تعلمنا العلامات الموسيقية المنقوشة على الورق عن اللحن الموسيقى .

غير أن الضرورة العلمية تضطرنا أحياناً إلى تحليل الشخصية إلى سمات لسهولة وصفها ودراستها وفهمها ويكون هذا الفصل عن طريق الفكر والتجريد الذهنى ليس غير — لكن هذا التحليل يجب ألا يجعلنا نغفل عما بين المفصولات من علاقات ، أى يجب ألا يعمينا الشجر عن رؤية الغابة . بل يجب أن نعقب على هذا الفصل بنظرة (تأليفية) تنظر إلى الشخص فى جملته بعد أن نكون قد جسسنا نبضه فى نواح مختلفة من شخصيته .

شروط التكامل :

لتحقيق تكامل الشخصية شروط بيولوجية ونفسية واجتماعية مختلفة منها سلامة الجهازين العصبى والغدى ، فان كانا فى حالة سلامة فاهم عامل

لتحقيق التكامل هو خلو الشخصية من **الصراعات** النفسية العنيفة ، الشعورية واللاشعورية ، كالصراع بين غرائز الفرد وضميره ، بين نزواته وحاجته إلى احترام نفسه ، أو بين مايريده الفرد وما يقدر عليه بالفعل ، أو بين ماتنطوى عليه نفسه من معتقدات وأفكار وقيم وانحيازات وأطماع مختلفة مثل الشخصية المتكاملة كمثل فريق من لاعبي كرة القدم يكمل بعضهم بعضاً ويشد بعضهم أزر بعض ويتكاتفون جميعاً من أجل هدف واحـــد ولئن دب التناحر والشقاق بينهم كان مصيرهم الهزيمة والانهيار . لذا فوجود هدف يسعى اليه الفرد فى حياته من أقوى العوامل فى تخفيف حدة ما يعانيه من صراعات نفسية أو فى إزالتها .. أى أنه من أقوى العوامل فى تماسك الشخصية وتكاملها . فالهدف يقى الفرد من أن يكون نهبا للظروف الخارجية ومن الخضوع للسلطان والمال والقوة والمغريات .

فالتكامل وحدة وتوازن وتوافق . إنه الوحدة فى التنوع ، والائتلاف فى الاختلاف وهذا هو الجمال . وعدم التكامل يعنى الانقسام والفرقة والاضطراب والتكامل شرط ضرورى للصحة النفسية والتوافق الاجتماعى السليم كما سنرى فيما بعـــد .

ونشير أخيراً بأنه ليست هناك شخصيات على درجة تامة من التكامل ، لكن هناك حداً أدنى للتكامل تتعرض الشخصية بعده إلى التفكك والانحلال .

٤ — طرز الشخصية

اهتم الانسان منذ القدم بتصنيف من يعاشرونه من الناس شخصيات مختلفة برجعها إلى طرز معينة . ويقصد بالطراز type فئة أو صنف من الأفراد يشتركون فى نفس الصفت العامة وإن اختلف بعضهم عن بعض فى درجة اتسامهم بهذه الصفات أو هو مجموعة من السمات المترابطة .

الطرز المزاجية :

من أشهر هذه التصانيف التصنيف الرباعى القديم الذى يعزى إلى هبوقراط والذى يقسم الناس وفق المزاج الغالب لديهم إلى :

١ — الطراز الدموى : وصاحبه متفائل مرح نشط ممتلىء الجسم

سهل الاستثارة سريع الإستجابة ، لايهتم إلا باللحظة الحاضرة ، ولايأخذ الأمور جداً ، ومن أظهر ما يميزه التقلب فى السلوك . وهو من يعرف فى اللغة الدارجة «بالهوائى» .

٢ — الطراز الصفراوى : قوى الجسم طموح عنيد ، وأهم ما يميزه حدة الطبع وسرعة الغضب .

٣ — الطراز السوداوى : متأمل بطىء التفكير لكنه قوى الانفعال ثابت الاستجابة ، يعلق أهمية بالغة على كل ما يتصل به . يجد صعوبة فى التعامل مع الناس . وأهم ما يميزه الوجوم والانقباض والانطواء والتشاؤم .

٤ — الطراز البلغمى أو اللمفاوى : بطىء الاستثارة والاستجابة ، خامل بليد ، ضحل الانفعال ، بدين يميل إلى الشره .

وقد زعم القدماء أن كل طراز يرجع إلى غلبة عنصر أو «مزاج» خاص فى الجسم : الدم أو الصفراء أو البلغم أو ما أسموه بالسوداء ومن الطريف أنهم كانوا يرون أن الشخصية السوية المتزنة تنشأ من توازن هذه الأمزجة الأربعة كما نقول اليوم إنها نتيجة توازن بين مفرزات الغدد الصم . فإن تغلب أحد هذه الأمزجة على الآخر نشأ الطراز أو الاضطراب النفسى وقد ظل هذا التصنيف قائماً من العصور القديمة حتى القرن ١٩ .

الطرز الجسمية :

هناك اعتقاد شائع بأن الناس يمكن تصنيفهم طرزاً جسمية ، وأن الطراز الجسمى يحدد شخصية صاحبه على نحو ما . من أمثال هذه التصانيف التى لاقت رواجاً فى العصر الحديث تصنيف «كرتشمر» kretchmer الذى زعم أن هناك ثلاثة طرز جسمية .

١ — الطراز المكتنز pyknicوهو القصير السمين ويتميز صاحبه بالمرح والانبساط والصراحة وسرعة التقلب فى مشاعره فهو سريع الفرح سريع الحزن ويتميز بسهولة عقد الصداقات .

٢ — الطراز الواهن asthenic وهو الطويل النحيل ، ويتميز صاحبه بالانطواء والاكتئاب ، والحساسية الشديدة .

٣ — الطراز الرياضى athletic ويتميز بالنشاط والعدوانية .

غير أنه سرعان ما ظهر أن الناس أكثر من أن تصنف إلى هذه الطرز وحدها ليس غير ، وأن أصحابها لا يتحتم أن تكون سماتهم كما ذكر كرتشمر . فقد ظهر من احدى الدراسات أن ٥٠٪ من الطراز المكتنز يتسمون بالانبساط وأن ٣٠٪ يتسمون بانطواء .

الطرز الهرمونية :

يصنف «برمان» Berman الأمريكى الشخصيات حسب النشاط الهرمونى السائد لديهم. فهناك الطراز الدرقى وصاحبه متهور سهل الاستثارة ، قلق نشط ، يميل إلى العدوان . وهناك الطراز الادرنالينى وصاحبه مثابر نشط قوى ، أما الطراز الجنسى فصاحبه خجول يسهل استثارته للضحك والبكاء فى حين أن الطراز النخامى يتميز أفراده بضبط النفس والسيطرة عليها ، أما الطراز التيموسى فصاحبه ذو نزعة لواطية ويتميز بانعدام المسئولية الخلقية .. ولقد أطلق برمان وأتباعه على الغدد الصم اسم «غدد الشخصية» أو «غدد المصير» يشيرون بذلك إلى أننا نرث جهازاً غدياً يطبع شخصياتنا ويوجهها إلى الخير أو الشر ، إلى الصحة أو المرض فما طرأ على شخصية «بونابرت» من تغير أثناء حملته على روسيا وبعدها يرجع إلى قصور فى غدته النخامية . ولو قد حدث ما يحول دون ذلك لتغير وجه التاريخ .. ومما يلاحظ فى هذا التصنيف أن أصحابه يغفلون أثر العوامل الاجتماعية والثقافية اغفالا تاماً فيما بين الشخصيات من فوارق .

الطرز النفسية :

يرى «يونج» Jung الطبيب النفسى السويسرى أن الناس يمكن تصنيفهم من حيث أسلوبهم العام فى الحياة واهتماماتهم الغالبة إلى منطو ومنبسط .

فالمنطوى introvertيؤثر العزلة والاعتكاف ويجد صعوبة فى الاختلاط بالناس فيقصر معارفه على عدد قليل منهم ويتحاشى الصلات الاجتماعية ، ويقابل الغرباء فى حذر وتحفظ ، وهو شديد الحساسية لملاحظات الناس ، يجرح شعوره بسهولة . وهو كثير الشك فى نيات الناس ودوافعهم . شديد القلق على ما قد يأتى به الغد من أحداث ومصائب يطير صوابه فىساعات الحرج والشدة .. يهتم بالتفاصيل ويضخم الصغائر متقلب المزاج دونسبب ظاهر. يستسلم لأحلام اليقظةويكلم نفسه . كثير الندم والتحسر على ما فات. يسرف فى ملاحظة صحته ومرضه ومظهره الخارجى لايعبر عن عواطفه فى صراحة . وهو إلى جانب هذا دائم التأمل فى نفسه وتحليلها ، يهتم بأفكاره ومشاعره أكثر من اهتمامه بالعالم الخارجى . ويفكر طويلا قبل أن يبدأ عملا فإن انهار وأصيب بمرض نفسى كان نصيبه العصاب الوسواسى . وهذه الصفة الأخيرة قد تحققت تجريبياً على يد «أيزنك» .

أما المنبسط extravert فعلى العكس من ذلك . يقبل على الدنيا فى حيوية وعنف وصراحة ، ويصافح الحياة وجها لوجه ، ويلائم بسرعة بين نفسه والمواقف الطارئة ، ويعقد مع الناس صلات سريعة ، فله أصدقاء أقوياء وأعداء أقوياء . لايحفل بالنقد ، ولا يهتم كثيراً بصحته أو مرضه أو هندامه أو بالتفاصيل والأمور الصغيرة ، وهو لا يكتم مايجول فى نفسه من انفعال . ويفضل المهن التى تتطلب نشاطاً وعملا واشتراكاً مع الناس . إن انهار وأصيب بمرض نفسى كان نصيبه الهستيريا . وقد تحققت هذه الصفة أيضاً تجريبياً على يد «أيزنك» .

نقد الطرز :

هذه التصانيف وغيرها تشترك جميعاً فى بعض العيوب ، منها أنها تشعر بوجود حدود فاصلة حاسمة بين الطرز بعضها وبعض ، والواقع أن الطرز لا تمثل إلا الحالات المتطرفة الشاذة من الشخصيات ، وأن السواد

الأعظم من الناس خليط منها على درجات كبيرة متفاوتة . من ذلك أنه لما صيغت اختبارات تقيس الانطواء والانبساط وطبقت على أعداد كبيرة من الناس وجد أنهم لا ينقسمون إلى مجموعتين متمايزتين من المنطوين والمنبسطين ، بل أن أكثرهم وسط بين ذلك وفق المنحنى الاعتدالى . أى يبدون الانطواء فى بعض المواقف والانبساط فى أخرى ، وعلى هذا فمن الخطأ أن نقول إن الإنسان إما منطو أو منبسط ، لأن الانطواء والانبساط لا يمثلان إلا الطرفان ، بل الأصوب أن نقول إنه منطو أو منبسط بقدر قليل أو كبير . وقد تتجاوز فتقول إن فلاناً منطو وهذا يعنى أن مظاهر الانطواء تبدو لديه أكثر مما تبدو لدى متوسط الناس .

ثم إن نظريات الطرز لا تنظر إلى الشخصية إلا من جانب واحد أوجوانب محدودة ولا تخفل بما بين الشخصيات من فوارق أخرى هامة . فالمنطوى قد يكون ذكياً أو غبياً ، طموحاً أو متخاذلا ، أنانياً أو إيثارياً ، مثابراً أو غير مثابر .. وبعبارة أخرى فالطرز تؤكد أوجه الشبه وتغفل عن أوجه الاختلاف بين الناس ، وبذا تعطى صورة مشوهة للفرد . هل شخصان منطويان هما نفس الشيء ؟ .

ومما تجدر الإشارة اليه بهذا الصدد مادلت عليه دراسات التحليل العاملى من أن كلا من الانطواء والانبساط ليس بعداً بسيطاً واحداً من أبعاد الشخصية ، بل بعد مركب من خمسة أبعاد فرعية مستقلة (عقلية واجتماعية وانفعالية) :

(١) الانطواء أو الانبساط الاجتماعى (اعتزال الناس فى مقابل الأنسة بهم)

(٢) » » الفكرى (التأمل الذاتى فى مقابل التفكير العملى)

(٣) الانقباض أو انشراح الصدر (الميل إلى التشاؤم والتعاسة والشعور بالذنب والدونية فى مقابل التفاؤل والانشراح) .

(٤) التقلب الوجدانى (ارتفاع الحالة المزاجية وهبوطها دون سبب ظاهر فى مقابل الثبات المزاجى) .

(٥) التهوينية (الميل إلى التخفف من الأعباء وعن حمل الهموم ، وعكسه الميل إلى أخذ الأمور عسفاً لا هوناً) .

الفصل الثانى

الحكم على الشخصية

١ ــ أهدافه وطرقه

للحكم على الشخصية وقياسها أهداف عملية وعلمية مختلفة . فمن الأهداف العملية : التوجية المهنى والاختيار المهنى وتشخيص أسباب سوء التوافق لدى المشكلين والجانحين ومضطربى الشخصية وقياس مدى التحسن فى العلاج النفسى .. أما الأهداف العلمية فتدور حول دراسات نظرية للاجابة على أسئلة كالآتية : كيف تتغير شخصية الفرد بتقدمه فى العمر ؟ ماصلة الشخصية بالوضع الاجتماعى الاقتصادى للفرد ؟ هل تختلف التوائم الصنوية فى شخصياتها ؟ ما أثر البيوت المعيبة المحطمة فى شخصيات من ينشئون فيها من الأطفال ؟

الاتجاه التحليلى (١) والاتجاه الكلى (٢) :

يرى علماء النفس التجريبيون الذين لا يرضون بغير القياس الموضوعى للشخصية ، وعلى رأسهم أتباع مدرسة المثير والاستجابة ومدرسة التحليل العاملى أن الشخصية مجموعة من سمات ، وأن السمات يمكن أن تقاس فرادى ، وأن تحليل الشخصية إلى سمات لا يمس وحدة الشخصية ، لأن المجرب يعزل السمات عن الوحدة المندمجة فيها عن طريق التجريد الذهنى ، كما يعزل عالم الفيزيقا الطول والوزن والصلابة وغيرها من خصائص المادة ويقيس كلا منها على حدة . فليست السمات إلا صورا فتوغرافية تؤخذ للفرد بأجمعه من زوايا مختلفة . لذا يستخدم هؤلاء الاختبارات والاستخبارات وموازين التقدير للحكم على الشخصية وقياسها ويرون أن هذه هى الطريقة الصحيحة .

---

(١) Analytic (٢) Holistic

ويرى أتباع مدرسة التحليل النفسى ومدرسة الجشطلت والأطباء النفسيون أن الشخصية تنظيم دينامى لا يقبل التجزئة ، لأنه ليس مجرد مجموعة من سمات بل مجموعة بين أجزائها تفاعل وعلاقات . فالطريقة الحقه للحكم على الشخصية هى دراسة الانسان بكليته لا دراسة سمات مجردة منعزلة . فالشخصية وحدة ، والوحدة أكثر من مجموع أجزائها ، والسمات الجزئية لا يمكن أن تفهم إلا على ضوء البناء الكلى للشخصية . لذا يتبع هؤلاء طريقة «المقابلة الشخصية» ، وطريقة التداعى الحر وتأويل الأحلام ، وطريقة ملاحظة السلوك الكلى للفرد فى مواقف وظروف مختلفة ، وطريقة الاختبارات الاسقاطية وغيرها من الطرق التى توسم بأنها طرق اجمالية ذاتية .. ثم يبنون حكمهم على ما يخرجون به من انطباع عام لا على النتائج العددية والكمية لاختبارات تقيس السمات . ذلك أن هذه الاختبارات فى رأيهم ، تمزق «الشخصية الكلية» وتذهب بوحدتها (انظر ص ٤٦٧). وإليك تفصيلا لأهم طرق الحكم على الشخصية وقياسها.

٢ — المقابلة الشخصية

المقابلة الشخصية أو الاستبار interview هى حديث أو مجموعة أسئلة شفوية يوجهها شخص أو عدة أشخاص إلى آخر بقصد الحصول على معلومات معينة عن شخصيته وسلوكه أو للتأثير فيه . والمقابلة طريقة معروفة لاختيار المرشحين للمهن والاعمال ، كما أنها طريقة من طرق التشخيص والعلاج النفسى .

والمقابلة وسيلة ضرورية للتأليف بين المعلومات التى تجمع عن الفرد من مصادر مختلفة : من التقارير التى تكتب عنه والاختبارات التى تجرى عليه وطلب الاستخدام الذى يقدمه ، وما يقوله الآخرون عنه . كما أنها ضرورية كأداة للحكم على الفرد فى جملته بعد أن نكون قد قسنا بعض قدراته وسماته . هذا إلى أنها تعيننا على التحقق من صحة المعلومات والاجابات التى نشك فيها والتى نكون قد حصلنا عليها من إجراء امتحان تحريرى على الفرد أو تقديم استفتاء اليه . والمقابلة أداة ضرورية وهامة فى «دراسة الحالة» — أنظر المنهج الكلينيكى (ص ٦١) .

ومع ما للمقابلة من فوائد فلها عيوب تحد من قيمتها كوسيلة للحكم على الشخصية ، منها تأثر الحكام فى تقديراتهم بالانطباع العام الذى يأخذونه من المحكوم عليه . فان كان انطباعا سارا مرضيا أو سمة بارزة فى ناحية مالوا إلى تقديره تقديراً جيدا فى جميع السمات التى يريدون تقديرها لديه ، وإن كان انطباعا سيئاً أو منافرا مالوا إلى الغض من شأنه فى جميع هذه السمات . وتعرف هذه النزعة «بالأثر الهالى» halo effect .

وقد وجد عن طريق الدراسات التجريبية أن الشخص الذى يقوم بدور الحكم إن كان يحمل فى أعماق نفسه سمات مكبوته أى لا يفطن إلى وجودها كالتعصب أو العدوان فانه يبالغ فى تقدير هذه السمات لدى غيره . أما ان فطن إلى وجودها كان أقرب إلى العدل فى حكمه على الناس . فاستبصار الحكم فى عيوبه وانحيازاته شرط ضرورى لصواب أحكامه . وهناك مثل يقول : من خفيت عنه عيوبه ، خفيت عنه محاسن غيره . وقد أشرنا من قبل الى ان المقابلة فشلت فشلا ذريعاً فى انتقاء طلبة الجامعة (انظر ص ٤٣١)

من أجل هذا كان لابد من تهذيب المقابلة وتدارك ما بها من عيوب وذلك عن طريق :

١ — تقنينها من ناحيتى الشكل والموضوع أى تحديد وتوحيد ظروف إجرائها ، ونوع الأسئلة التى تلقى فيها ، وشكل هذه الأسئلة ، وطريقة القائها حتى يفهمها الجميع على حد سواء ، هذا إلى تحديد معنى السمات التى يراد الحكم عليها تحديداً اجرائياً دقيقاً بحيث تكون واضحة مفصلة إلى عناصر مختلفة وليست مبهمة فضفاضة يفهمها كل حكم فهما خاصا كالسمات الآتية : رباطة الجأش ، سعة الحيلة ، سرعة البديهة ، ضيق الصدر .من أجل هذا كثيرا ما تطبع أسئلة المقابلة حتى يراعيها الحكم ولا يسرف فى الحيود عنها .

٢ — تدريب الحكام باشراف اخصائيين حتى يتسنى للحكم أن يقيم بينه وبين من يحكم عليه علاقة ودية فلا يلبث أن يكسب ثقته وأن يظهر على مواطن الحرج وأسباب التكلف أو التوتر عنده . وحتى يستطيع التميز بين

الاستجابات اللاصقة بشخصية المفحوص وبين الاستجابات الطارئة المؤقتة التى ترجع إلى موقف المقابلة وأن يبنى حكمه على الاستجابات الثابتة وحدها وقد وجد أن التدريب العملى ذو قيمة ملحوظة فى زيادة استبصار الحكم وابتعاده عن الأحكام السطحية السريعة .

٣ — من وسائل تهذيب المقابلة تعدد الحكام الذين يشتركون . فالحكم الواحد عرضة للتحيز ، ولكن التحيز لدى عدد من الحكام يغلب ألا يكون فى اتجاه واحد بل فى اتجاهات مختلفة يرجح أن يعادل بعضها بعضا . ومن المفيد أن يناقش الحكام تقديراتهم وأن يحاولوا التوفيق بينها فذلك أفضل من قيام كل منهم بتقديره مستقلا عن الآخر . ومن بعض الدراسات التجريبية أن أثر العوامل الذاتية فى المقابلة يقل حين يتفق الحكام على أهداف المقابلة وما يمكن استخلاصه منها وللنواحى الهامة وغير الهامة فيها .

ويجدر بالشخص الذى يقوم بالمقابلة ان يراعى :

(١) ان الانطباعات الأولى التى يأخذها عن المفحوص غالباً ما تكون مضللة.

(٢) أن تعبير الوجه ورنة الصوت والحركات والايماءات كثيراً ما تكون أصدق فى الافصاح عن المشاعر من الالفاظ ، بل كثيرا ما تسيئ الالفاظ التعبير عن المشاعر .

(٣) أن مالا يقوله المفحوص قد يكون أهم مما يقوله .

(٤) الانصات وعدم المقاطعة .

(٥) ليس المهم ما يقوله المفحوص بل الكيفية التى يجيب بها .

موجز القول أن المقابلة من وسائل الحكم الذاتية اى التى تعتمد على الحدس والاستبصار الوجدانى والانطباعات الذاتية أكثر من اعتمادها على الأدلة الموضوعية . فهو من وسائل الفنان لا من وسائل العالم ، لكنها لا بد منها فى الوقت الحاضر .

٣ — التداعى الحر وتأويل الأحلام

التداعى الحر منهج ابتكره «فرويد» لجوب الحياة النفسية اللاشعورية

وإرتيادها والكشف عما تنطوى عليه من عوامل وعمليات ودوافع وذكريات دفينة . وهو الطريقة الرئيسية التى يستخدمها المحللون النفسيون لجمع معلومات عن شخصية المريض ولعلاجه أيضاً ولقد ثبت أنها تكشف عن نواحى خافية من الشخصية ذات دلالة وصلة وثيقة بما يعانية المريض من أعراض . ففى التداعى الحر يسترخى المريض على متكأ ، ثم يشجعه المحلل على أن يطلق العنان لخواطره وأفكاره فيذكر كل ما يرد على ذهنه دون أن يهتم بمعناها أو تماسكها أو ما قد تنطوى عليه من دلالات تافهة أو غريبه أو مخجله فلا يحاول ضبط نفسه عن ذكرها بل يستسلم لها استسلاما . هذا والمحلل يقظ لما يبدو على وجه المريض من انفعال أو لما يأتيه من حركات عصبية أو لما يتورط فيه من زلات لسان أو لما يعتريه من تلعثم أو تردد أو توقف أو تحرج أو تأخر فى تسلسل التداعى ، أو لما قد يدلى به من تعليق أو اعتراض على عملية التداعى ، بل يتخذ المحلل من هذا كله دلائل صوتها أعلى من صوت المريض نفسه . وقد يتدخل المحلل أحيانا ليشجع أو يوجه أو يستفسر أو يطلب من المريض أن يزيد من كلامه عن ناحية خاصة يرى المحلل فيها موطناً من مواطن الحرج ، إذ ربما كانت لها صلة بشئ يكتمه المريض فى قرارة نفسه .

وتكون نقطة البدء فى التداعى إما بعض الأعراض التى يعانيها المريض ، أو حلم رآه فى نومه ، أو فلتة لسان تورط فيها ، أو ملاحظة أدلى بها ، أو أى مظهر آخر لحياته اللاشعورية .. ويستعين المحللون بالتداعى الحر للنفاذ إلى باطن الاحلام وتأويلها . فالاحلام ، كما يقول فرويد ، هى الطريق الأمثل إلى اللاشعور . وذلك مع حث المريض على أن يتكلم عن خبرات طفولته خاصة .

ومما يذكر أن المريض تعتريه أثناء جلسات التحليل النفسى انفجارات انفعالية فيبكى أو يصيح أو يغضب أو يشمئز أو يسب ويلعن — وذلك حين تتكشف له النواحى المكبوته من شخصيته ، تلك التى كان يخفيها وينكرها ويستنكرها ولا يبوح بها للناس وحتى لنفسه . وغالباً ما يكون لهذه الثورات أثر تنفيسى ذو قيمة .

موجز القول أن منهج التحليل النفسى ملاحظة كلينيكية موزعة على فترات منتظمة خلال مدة طويلة .

٤ – موازين التقدير

موازين التقدير rating scales هى وسائل لتقدير السمات الاجتماعية والمزاجية والخلقية ووصفها كمياً وتقدير مدى وجودها لدى الفرد (١) . فبدل أن يقال عن شخص معين إنه غير ثابت انفعالياً أو أنه ضعيف الثقة بالنفس أو أنه غير مثابر تحاول موازين التقدير أن تبين مقدار ما لديه من هذه السمات بنسبة مئوية أو رسم بيانى ، فأكثر الناس مرحا يعطى ١٠٠ درجة وأشدهم اكتئاباً تكون درجته صفراً ، والمتوسط تكون درجته ٥٠ . هذه الموازين يستطيع أن يطبقها الآباء والمدرسون على أطفالهم وطلابهم ، كما يستطيع أن يطبقها الكبار على أنفسهم فتسمى فى هذه الحال «الموازين الذاتية»

والشكل ٣٣ ميزان تقدير بيانى ذاتى لقياس سمة المثابرة . فيه يطلب إلى المفحوص أن يضع علامة على نقطة تطابق تقديره . وقد وجد بالتجربة أنه يجب ألا تقل الدرجات على ميزان التقدير عن خمس درجات للحصول على نتائج ثابتة .

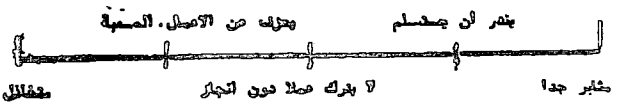

شكل ٣٣

ومن فوائد هذه الموازين أنها تحمل المقدر على أن يكون حريصاً فى تقديره ، وعلى أن يعقدمقارنة بين المفحوصين بعضهم وبعض فيتخذالشخص المتوسط فيهم معياراً لسائرهم بدلا من أن يتخذ نفسه هو معياز التقدير . ولتجنب «الأثر الهالى» تقدر كل سمة من السمات لدى المفحوصين واحداً بعد الآخر وذلك بدلا من تقدير السمات جميعاً على التعاقب لدى كل مفحوص على حدة .

(١) تستخدم هذه الموازين أيضا لتقدير القدرات العقلية والمهارات والاتجاهات والميول والاستعداد المهنى .

وتزداد درجة الاعتماد على هذه الموازين بازدياد عدد المقدرين واهتمامهم وكفايتهم . كما تزداد أيضاً كلما كانت السمة واضحة محددة معرفة تعريفاً اجرائياً (أنظر ص ٣٣٥) . فسمة المثابرة مثلا هى قدرة الفرد على الاستمرار والصمود فى عمل ما بالرغم من التعب أو الملل أو الألم أو الاغراء .

أما الموازين الذاتية فقد ثبت أنها لا يمكن الاعتماد عليها إن لم تقارن بتقديرات الغير .

٥ ــ الاستخبار

الاستخبار أو الاستبيان أو الاستفتاء Questionaire قائمة من الأسئلة تدور حول موضوع أو موضوعات نفسية أو اجتماعية أو تربوية تعطى أو ترسل إلى جماعة من الأفراد ليجيب عنها كل واحد منهم بنعم أو «لا» أو باجابة موجزة . وقد يجرى الاستخبار عن طريق المقابلة الشخصية. وأساس الاستخبار غالباً ما يقوم به الفرد من استبطان وتحليل ذاتى لأحواله النفسية الشعورية . فهو يسأل الفرد عما يعرفه أو عما يشعر به أو عما فعل عما يفعل . والاستخبار أداة مفيدة فى التشخيص متى كانت أسئلته واضحة ومفصلة تفصيلا كافياً ، ومتى توخى الفرد الصدق والأمانة فى الإجابة عليها . ومن ميزاته مقارنة الأفراد بعضهم ببعض على أساس التقدير الكمى للسمات المقيسة . يضاف إلى هذا أنه مقياس موضوعى لأن طريقة تصحيح الإجابة عليه لا تتأثر بشخصية المصحح وانحيازاته . لذا فهو مقياس ثابت إلى حد كبير .

والاستخبارات أنواع : ١ ــ فمنها ما يحاول الكشف عن الآراء والمعتقدات والاتجاهات النفسية حيال الدين أو السياسة وغيرها .

٢ ــ ومنها ما يحاول الكشف عن الميول المهنية والثقافية وغيرها

٣ ــ أو عن سمات اجتماعية وخلقية معينة كالانطواء أو الاتزان الانفعالى أو التطرف فى الحكم على الأمور أو الأمانة ،

(١) أنظر « صفحة الميول المهنية »(ص٤٣٩)

٤ — ومنها ما يستهدف الكشف عن السمات الشاذة فى الشخصية ، أو يساعد على تشخيص الشواذ .

(١) وقد كان أول استخبار استخدم هو استخبار «ودورث» Woodworth للكشف عن الاستعدادات العصابية ، وكان الغرض منه استبعاد المرشحين للاصابة بأمراض نفسية من المجندين بالجيش الأمريكى ابان الحرب العالمية الأولى ، فقد جمع هذا السيكولوجى طائفة من أعراض الأمراض النفسية وجعلها فى صورة أسئلة يجيب عليها الشخص نفسه أو أحد من يعرفونه جيداً .. غير أنه لم يعد يستخدم الآن .

(٢) استخبار «ثرستون» Thurstone لتقدير درجة التوافق الاجتماعى للشخص ويحتوى على أسئلة تتصل بالسمات الانفعالية وذكريات الطفولة وموقف الشخص من والديه .. ومن الأسئلة التى وردت فيه .

— هل كنت تحب اللعب بمفردك وأنت طفل ؟
— هل يجرح الناس شعورك بسهولة ؟ .
— هل تشعر أن الحياة عبء لا يحتمل ؟
— هل تخاف السقوط إن كنت تطل من مكان مرتفع ؟ .
— هل يصعب عليك التخلص من البائع ؟ .
— هل كانت علاقتك بوالدتك طيبة دائماً ؟.
— هل يصعب عليك أن تضحك ؟ .

وقد كانت الاستخبارات تصاغ فى أول الأمر لقياس سمات معينة مثل الانطواء والانبساط ، السيطرة والخضوع ، الذكورة الخلفية أو الأنوثة ، ثم صيغت استخبارات لقياس عدة سمات مثل استخبار :

(٣) «برنرويتر» Bernreuter الذى يحتوى على ١٢٥ سؤالا ويستهدف قياس أربع سمات مختلفة : ١ — الاستعداد العصابى (١) ، ٢ — الإنطواء أو الانبساط ٣ — السيطرة أو الخضوع ، ٤ — الاكتفاء الذاتى أو الاتكال

(١) neuroticism الاستعداد العصابى أو العصابية هى عدم استقرار انفعالى موروث يؤدى بصاحبه إلى العصاب أى المرض النفسى إن تعرض لضغط شديد .

على الغير فى تدبير الأمور وتكوين الآراء واتخاذ القرارات : ومن الأسئلة التى وردت فيه :

- هل تغير ميولك بسهولة ؟ .
- هل يشت انتباهك كثيراً وبدرجة تجعلك تفقد الصلة بما تعمله ؟
- هل تعجز عن التصميم حتى تفلت منك الفرصة ؟
- هل تشعر بالوحدة حين تكون مع الناس ؟
- هل تحب أن تحمل المسئولية وحدك ؟ .

(٤) ومن أشهر الاستخبارات التى تقيس متغيرات متعددة فى فى الشخصية بطارية «جلفورد Guilford لعوامل الشخصية **وهو** يقيس خمسة عوامل (سمات) كل منها ذو قطبين :

- الإنطواء والانبساط الاجتماعى : أى الانعزال عن الناس وعكسه الميل إلى الاجتماع بهم .
- الإنطواء والإنبساط الفكرى : أى الميل إلى التأمل والاستبطان وعكسه انبساط التفكير إلى العالم الخارجى .
- الاكتئاب ويبدو فى الميل إلى التشاؤم والشعور بالذنب والتعاسة والدونيه وعكسه الانشراح والتفاؤل .
- التقلب الوجدانى الدورى : ويبدو فى ارتفاع الحالة المزاجية وهبوطها دون سبب ظاهر ، وعكسه الثبات المزاجى .
- التهوينية rathymia هى الميل عن حمل الهموم والميل إلى أخذ الأمور هونا ، وعكسه الميل إلى التشدد وعدم التخفف من الأعباء .

وقد بين «أيزنك» أن مقياسى الاكتئاب والتقلب الوجدانى من المقاييس الجيدة للعصابية .

(٥) ومن أوسع الاستخبارات التى يستخدمها علماء النفس الكلينيكى لتشخيص اضطرابات الشخصية ، استخبار جامعة مينسوتا المتعدد الأوجه MMPI (١) الذى ظهر أثناء الحرب العالمية الثانية ليؤدى نفس المهمة التى أداها استخبار «ودورث» فى الحرب العالمية الأولى ، غير أن هدفه هو استبعاد المرشحين للعصاب (المرض النفسى) وللذهان (المرض العقلى) جميعاً . ويحتوى الاستخبار على ٥٥٠ عبارة تتصل بموضوعات مختلفة من الموضوعات التى تتعلق بالشخصية مثل الصحة العامة ، والتوافق الزواجى والاتجاهات الشخصية والاجتماعية ، والميول الذكرية والأنثوية والأفكار الوسواسية ، والأفعال القهرية ، والأوهام والهلاوس والهذاءات أما أهم المظاهر الكلينيكية التى يقيسها فهى ١ ــ الهجاس أو توهم المرض الجسمى ، ٢ ــ الاكتئاب . ٣ ــ الهستيريا ، ٤ ــ الانحراف السيكوباتى ويقصد به عدم الاستقرار الانفعالى الملحوظ ، ٥ ــ الميول الذكرية والأنثوية ٦ ــ الذهان الهذائى وخاصة هذاء العظمة والاضطهاد ، ٧ ــ السيكاستينيا (القلق والأفكار المتسلطة) ، ٨ــ الفصام الذى يتجلى فى صورة هذاءات وانطواء شديد واستسلام مسرف لأحلام اليقظة ، ٩ ــ الهوس الخفيف .

وقد دلت الدراسات على أن هذا الاستخبار يستطيع أن يميز بين الأسوياء ومن تضمهم مستشفيات الأمراض العقلية ، لكنه لا يستطيع أن يميز بين المرضى من الفئات الكلينيكية المختلفة .

* * *

وصوغ الاستخبار ليس بالأمر الهين . إذ يجب أن يعيش المؤلف فى جو الاستخبار ويناقشه مع أشخاص كثيرين ذوى آراء مختلفة قبل أن يصوغ اسئلته ، كما يجب ألا يستأثر بصوغ الأسئلة بل يشرك معه آخرون ممن يحيطون بالموضوع وفضلا عن هذا يجب

(١) Minnesota Multiphasic Personality Inventory

أن يختبر الاستخبار بتجربته على مجموعة صغيرة من الأفراد لمعرفة ما إذا كانت أسئلة مناسبة أو غير مناسبة ، واضحة أو مبهمة ، محرجة أو غير محرجة .

وللاستخبارات على اختلافها عيوب منها عجز المفحوص عن وصف أحواله النفسية بدقة ، أو تحرجه من الإفصاح عن دوافعه الحقيقية ومنها سوء فهمه الاسئلة ، والتخمين والتزييف أو الاجابة باهمال .. إلى غير تلك من العيوب التى يجب التحوط لها . والتى يرجع فيها المستزيد إلى كتب القياس السيكولوجى .

٦ ــ اختبارات الشخصية

يختلف الاختبار عن الاستخبار فى أن الأول يكلف المفحوص عادة الإجابة على أسئلة أو أداء عمل معين ثم تقدر النتيجة بمقدار ما أنجزه ، أو بدرجة صعوبته ، أو بما استغرق من وقت لأدائه . وقد يتألف الاختبار من أسئلة شبيهة بأسئلة الاستخبار فلايكون هناك فارق بينهما . ومع هذا فثمة فوارق أساسية بينهما . ففى الاستخبار لا يكون هناك اتصال شخصى بين الفاحص والمفحوص ، ،ومن ثم يزداد احتمال سوء فهم المفحوص لأسئلة الاستخبار . هذا إلى أن المفحوص فى الاستخبار يستطيع أن يلجأ إلى التزييف فى الإجابة بدرجة أكبر منها فى فى الاختبار . واختبارات الشخصية إما «موقفية» أو «اسقاطية» .

الاختبارات الموقفية :

ليس من العسير اختبار معلومات شخص عن قواعد السلوك الحسن أو الكياسة أو الأمانة أو التعاون . لكن المعرفة شىء والسلوك الفعلى شىء آخر . والاختبارات الموقفية ترمى إلى تهيئة مواقف وظروف فعلية وأعمال يؤديها المفحوص فتبرز بالفعل مالديه من سمات يراد قياسها ، دون أن نطلعه على الغرض من الاختبار بطبيعة الحال . من هذه الاختبارات اختبار «هارتشورن» و «مای» لقياس سمة التعاون لدى الأطفال .

ويتلخص فى أن يقدم المعلم لكل تلميذ من تلاميذه هدية مكونة من أقلام ملونة ومساطر ومماح ودقاتر وغيرها . ولكل منهم أن يتصرف فى هذه الأشياء كيف يشاء فقد أصبحت ملكاً له .. ثم يتقدم اليهم المعلم بعد ذلك باقتراح من مدير المدرسة فحواه أن كثيراً من تلاميذ مدرسة أخرى بهم حاجة إلى هذه الأشياء المهداه . فمن أراد أن يمنحهم شيئاً من عنده فليضعه فى مظروف يكتب عليه اسمه ثم يدعه عند معاون المدرسة ، ومن لم يرد فلا لوم عليه . ثم تسجل نتائج الاختبار بطريقة مقننة ، وتقدر درجاته على مقياس التعاون . ومما يدل على جدوى هذه الاختبارات وميزتها ما وجده هذان الباحثان من أن الارتباط بين المعلومات الأخلاقية والذكاء حوالى ٠,٧٠ لكن الارتباط بين المعلومات الأخلاقية ونتائج الاختبارات الأخلاقية الموقفية حوالى ٠,٢٥ فقط .

وهناك اختبارات موقفية مقننة مماثلة لقياس سمات الأمانة والعدوان والمثابرة والقابلية للايحاء والتهور .. وقد زاد الاهتمام فى العهد الأخير باستخدام هذه الاختبارات فى اختيار الجنود وضباط الجيش وغيرهم ممن يقومون بأعمال المخابرات والأعمال السرية .. من ذلك أن يكلف المرشحون من الجنود والضباط وهم فى كامل عدتهم الحربية نقل معدات أو عتاد أو قوات إلى جهة نائية تحف بها العقبات والمخاطر وتقتضى عبور أنهار أو تسلق جبال أو السير فى أرض ملغومة وذلك بأقصى سرعة مع المحافظة على ما ينقلونه من عتاد أو رجال ، وقد يكون هذا التكليف متعذراً أو مستحيلا ، لكن المهم هو ملاحظة الطريقة التى يتصرف بها الرجال حيال المشكلة وليس حلها . هل ينم سلوكهم عن الذكاء والمرونة أم العناد والغباء ، وهل يبدو من تصرفاتهم التعاون والقدرة على القيادة أو المبادأة .

ويمكن اعتبار (المبيان الاجتماعى) sociogram اختباراً موقفياً .. وهو يبين نتيجة قياس العلاقات الاجتماعية بين أفراد الجماعة بهدف تنظيمها

أو اعادة تنظيمها على أسس نفسية واجتماعية سليمة والجمع بين أعضائها على أساس اختيار بعضهم لبعض لا على أساس الزام بعضهم العمل مع بعض . إنه يقيس مدى التعاطف أو التنافر أو اللامبالاه ، ومدى الاقبال أو الإعراض المتبادل بين أفراد الجماعة . مثال ذلك أن يطلب إلى كل عضو من أعضاء الجماعة أن يجيب على أسئلة كالآتية : ١ — مع من تحب أن تعمل ؟ ، ٢ مع من تحب أن تشترك فى رحلة أو مشروع ؟ ٣ — إلى من تحب أن تفضى بمتاعبك أو مشاكلك؟ ٤— من تحب أن يكون رئيسك المباشر ؟ ٥— مع من تحب أن تتناول طعام الغذاء ؟..

ومما يذكر أن كثيراً من المؤسسات والوزارات تسير على نهج هذه الاختبارات فى اختيار الرؤساء والمديرين فيها . ومن ذلك ماتفعله وزارة التربية حين تضع المرشح لادارة المدرسة فى مركز مدير المدرسة بالفعل مدة من الزمن يتضح فى أثنائها ما إذا كان يصلح أو لا يصلح لهذه الوظيفة ، كما تستخدم فى اختيار المسئولين والقادة فى ميادين الصناعة والأعمال .

الاختبارات الاسقاطية :

أشرنا فى فصل الادراك الحسى إلى أن الموقف الخارجى إن كان غامضاً مبهماً غير واضح فانه يفسح المجال لشتى التأويلات الذاتية . يؤوله كل واحد منا على حسب أحواله النفسية ، المؤقتة أو الدائمة ، الشعورية واللاشعورية . فهذه السحابة التى تنساب فى السماء قد يراها شخص صورة تمساح ، ويراها آخر صورة جمجمة ، وثالث صورة معركة أو مسجد ... وهذه الاشارة المبهمة التى تصدر من رئيس إلى مرءوسيه قد تؤول على أنها اشارة استخفاف أواستعلاء أو تحد أو ازدراء كأن الفرد يسقط على المدركات فى عملية التأويل ما لديه من رغبات ومخاوف وتوقعات شعورية ولا شعورية . (أنظرص ٢١٠)

على هذه الخاصة الادراكية قامت الاختبارات الاسقاطية ، فهى

اختبارات مقننة تتكون من مواد مبهمة غامضة ، لفظية وغير لفظية ، سمعية وبصرية . تعرض على الشخص الذى يراد فحصه . ويطلب اليه تأويلها وفق ما يدركه فيها . وذلك بأقل قدر من التعليمات . من أمثال هذه المواد بقع غير منتظمة من الحبر ، أو صور مبهمة ، أو أصوات خافتة لا تكاد تسمع ، أو جمل ناقصة تطلب اليه أكمالها .

ولا تستخدم هذه الاختبارات لقياس سمة معينة أو عدة سمات من الشخصية ، بل للحكم على الشخصية فى جملتها بطريقة غير مباشرة ، ويقول من يطبقونها إنها وسيلة ذات قيمة فى الكشف عن الجوانب الخافية اللاشعورية من الشخصية . واليك أمثلة لهذه الاختبارات .

اختبار رورشاخ Rorschach

من الاختبارات الاسقاطية التى ذاع استعمالها حديثاً خاصة فى عيادات الطب النفسى اختبار بقع الحبر للطبيب النفسى السويسرى «رورشاخ» عام ١٩١١ ، ويتكون من عشر بقع من الحبر منها خمس ملونة

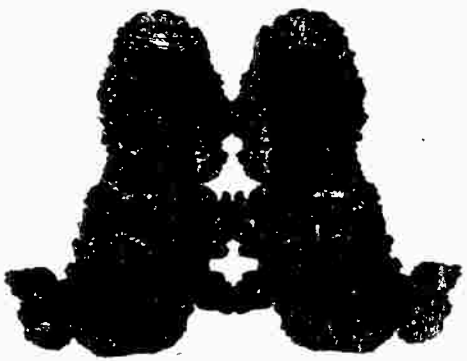

(شكل ٣٤)

بقعة من اختبار رورشاخ

ما رأيك فى رجل كان أول شئ يراه فى هذه البقعة صورة طائرتين تلاحق إحداهما الأخرى . هما الرقعتان البيضاوان فى وسط البقعة الكبيرة السوداء ؟

(أنظر شكل ٣٤) تعرض الواحدة بعد الأخرى على من يراد فحصه ويطلب إليه أن يذكر ما يراه فيها ، وأن يعلق عليها تعليقاً حراً فيصف

ما تذكره به وما يتوارد على ذهنه من خواطر بصددها . وله أن يديرها فى أى اتجاه يشاء .

— أيرى فيها صورة أناس أو حيوانات أو نباتات أو مناظر طبيعية ؟.
— أيرى البقعة فى جملتها أم يرى ما بها من تفاصيل ؟ ..
— أيتأثر بشكل البقعة أم بلونها ؟
— أيرى الناس والأشياء فى حالة حركة أم سكون ؟

واليك تعليق شخص دل الفحص الكلينيكى على أنه شخصية اجرامية ذات نزعات عدوانية عاتية . (شكل٣٥)

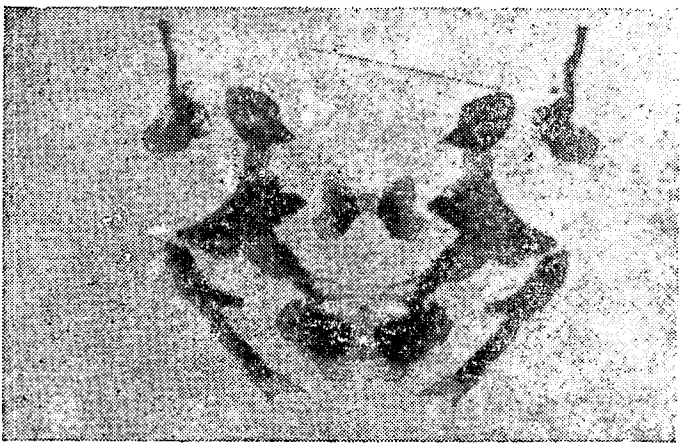

(شكل ٣٥) رور شاخ

«تبدو هذه الصورة كأنها رجلان عاريان جدا . وقد قامت بينهما معركة عنيفة سال فيها الدم وتناثر ولطخ الحائط . وبيد كل منهما سكين أو آلة حادة مزق بها جسماً منذ لحظة ، وانتزعا منه الرئتين وأعضاء أخرى فصار الجسم اشلاء ولم يبق منه الا هيكله . وهما يتقاتلان ويتنازعان على من تكون له الغلبة فى النهاية ، كأنهما نسران ضاريان ينقضان على فريسة » .

ثم تسجل أجوبته حرفياً وتدرس من حيث محتواها ونوعها ودرجتها من الإغراب ، ويقال إن رؤية البقعة فى جملتها لا فى تفاصيلها تشير إلى أن الشخص يتسم بالقدرة على التأليف والتجريد ، وأن رؤية التفاصيل تشير إلى تفضيله الأشياء الحسية العيانية ، وأن التأثر بالألوان يدل على الاندفاع ، كما أن رؤية الناس فى حالة حركة تشير إلى الانطواء على حين أن رؤية أشياء محددة حاسمة التقاسيم تشير إلى ضبط النفس

فمن تطبيقه يستطيع المختبر أن يخرج بالنتيجة الآتية مثلا «هذا الشخص هادىء فى ظاهرة لكنة يغلى فى باطنه ، وأنه يعانى من صراعات نفسية لكنه يضبط نفسه ، وأن انتاجه لا يعلو إلى مستوى قدراته » .

لقد استخدم هذا الاختبار فى التحليل النفسى ، وفى دراسة الأطفال الأسوياء والمشكلين ، ودراسة طرز الشخصية ، وفى التوجيه المهنى ، وفى التميز بين الأسوياء والمصابين بأمراض عقلية ، وبين مختلف أنواع هذه الأمراض ، بل يقول المشتغلون به إنه يعطى فكرة عن المستوى العقلى للشخص ونوع ذكائه بالاضافة إلى ما يكشف عنه من نواح وجدانية بعيدة الغور . وقد حاول رورشاخ وأتباعه عمل تقنين لهذا الاختبار حتى يكون أداة نافعة للتشخيص .

اختبار تفهم الموضوع أو التات (١) TAT

يتكون من ٢٠ صورة غامضة لكن ليست فى غموض بقع الحبر ، بعضها للذكور وبعضها للاناث وبعضها للاطفال ، وهى صور تمثل مواقف مثيرة (أنظر شكل ٣٦) تحتوى كل منها على شخص يمكن أن

شكل (٣٦)
« التات للكبار »
وهاتان المرأتان ما خطبهما ؟

(١) Thetamic aperception test

يتقمصه المفحوص أى على شخص من جنسه وحبذا لوكان من نفس سنه . ثم يطلب اليه أن يروى قصة توحى بها الصورة وتتحدث عن أحوال من فيها من الأشخاص . وقد لوحظ أن المفحوص فى وصفه وتأويله غالباً ما يتكلم عن حياته هو وعن رغباته ومتاعبه دون أن يفطن إلى ذلك . وهو يفعل هذا لأن التقمص يحمله على اسقاط مشاعره والتعبير عنها فى روايته . وقد يكرر فى روايته هذه أحاديث عن الانتحار أو الموت أو الحب أو الشقاء مما يلقى الضوء على ما يعانيه .

هذا شاب يقول أمام احدى الصور : «هذه أم تدخل الحجرة لترى هل يذاكر ابنها أو لا يذاكر ويبدو أنها تؤنبه لأنه لا يذاكر» وعند الاستفسار منه عما قال ذكر أن هذا هو ماكان يحدث بينه وبين أمه ، إلا أنه لم يشعر بذلك وهو يقص القصة .

اختبار تكميل الجمل :

من الاختبارات الاسقاطية التى ثبت أنها هامة جداً فى الحكم على الشخصية والتى تعتمد على التداعى الحر . ويتكون من بضع جمل ناقصة يطلب من المفحوص أن يكمل كل واحدة منها بأسرع ما يستطيع ، دون توقف أو تفكير بل بأول مايطرأ على ذهنه :

- الطريقة التى كانت والدتى تعاملنى بها كانت تجعلنى أشعر ....
- أشعر بالسعادة حين .....
- أصدقائى لا يعرفون أنى أخاف من ....
- الأغنياء يستطيعون أن يشتروا ....
- أحب .....
- أكره ....
- أريد أن أعرف ....
- أشعر أن أبى ....

- لوكان أبى ....
- وددت لوكان أبى ....
- المرأة الكاملة ....
- أعتقد أنى قادر على ....

ويلاحظ أن الجمل ليست مصوغة كيفما اتفق بل تغمز أوتارا حساسة معينة ، ومناطق معينة للصراعات اللاشعورية . كما يلاحظ أن طرق تكميلها تختلف باختلاف الحالات النفسية للأفراد . إن جملة ناقصة مثل (من طلب العلا سهر ...) لا يمكن أن تدرج فى مثل هذا الاختبار لأن أغلب الناس سيكملونها بكلمة (الليالى) وهذا لا يدلنا على شئ عن المفحوص الا أنه قرأها أو سمعها . كما يلاحظ أن هناك جملا للاطفال ، وأخرى للمراهقين وثالثة للراشدين .

اختبار الأصوات الخافتة :

يطلب إلى المفحوص الاصغاء إلى صوت انسانى خافت مسجل على شريط هو عبارة عن حروف متحركة لا تكاد تسمع ، ثم يسأل عما سمعه . فقد يجيب بأن الصوت يقول «كن حذرا» أو «لماذا فعلت ما فعلته ؟» أو «يجب أن تعمل ما تركته» ، أى أنه يؤول ما يسمعه فى ضوء حالاته النفسية : ما يتخوفه أو ما يتوقعه أو ما يتمناه .

اختبار تداعى المعانى :

هو اختبار يسهل الكشف عن العقد النفسية وعن الرغبات أو المخاوف المكبوتة . وهو ينسب إلى العالم السويسرى يونج Jung . يتلخص الاختبار فى تلاوة قائمة من الكلمات كلمة كلمة ــ مائة كلمة فى العادة ــ على الشخص الذى يراد فحصه ويطلب اليه أن يرد على كل كلمة يسمعها بأسرع ما يمكن وبأول كلمة تطرأ على ذهنه . أما هذه الكلمات فتتضمن كلمات شتى مختلفة من هنا وهناك وقد دس بينها كثير من الكلمات التى يحتمل أن تغمز الأوتار الانفعالية للشخص ، والتى تسمى «الكلمات الحرجة» .. والنظرية التى يقوم

عليها الاختبار هى أن الكلمات التى تمس عقد الشخص وانفعالاته المنسية أو المكبوتة من شأنها أن تثير فيه هذه الانفعالات : القلق أو الخوف أو الارتباك أو الضحك. وهناك علامات مميزة يمكن اعتبارها دليلا على اضطرابه الانفعالى منها : طول زمن الرجع وهو الزمن الذى يمضى بين سماعه الكلمة والرد عليها فهذا يوحى بأن هناك مقاومة مما يدل على وجود ممنوع .ومنها تكرار الكلمة التى يسمعها ، وتكرار جواب سابق ، وغرابة الجواب أو سخفه (١) ، وذكر جملة بدل كلمة ، والخطأ فى سماع الكلمة التى تتلى عليه ، والعجز التام عن الاجابة ، والرغبة فى تغيير الجواب بعد ذكره ، والضحك ، وتحريك الأصابع .. وتسمى هذه العلامات «كاشفات العقد». فاذا فرضنا أن متهما بجريمة قتل مثلا يصر على انكاره ويؤكد انه لا يعرف القتيل ولم يذهب إلى منزلة قط ولا يعرف شيئا عن مكان الحادث وظروفه ، فالمتبع أن يجرى عليه هذا الاختبار بعد أن تختار نصف كلماته تقريبا مما يدور حول وقائع الجريمة وظروفها وملابساتها والادوات التى استخدمت فيها ، والدوافع التى أدت إلى ارتكابها ، والاشخاص الذين يحتمل أن يكونوا قد أسهموا فيها إلى غير ذلك . ثم ترصد الاجوبة ، وطول زمن الرجع لكل كلمة ، وطبيعة الجواب .. ومن المفيد تكرار الاختبار مرة ثانية وثالثة بنفس القائمة ومراعاة ما يطرأ على الاجوبة وأزمنة الرجع من تغيرات مع ملاحظة ما يبدو على المتهم من تردد أو حرج أو انفعال أو توقف عن الرد . على هذا النحو تقوى بعض الشبهات أو تضعف بعض القرائن وقد يلقى الضوء على كثير من خفايا الجريمه .

واليك مثلا لشطر من اختبار أجرى على شخص عزم على الانتحار غرقا فى أثر نوبة من الهبوط والاكتئاب .

الكلمة المنبهة	الجواب	زمن الرجع
١ — رأس	شعر	١,٤ ثانية

(١) إن اسراف الاستجابة فى الغرابة قد يرتبط بمرض عقلى . فأغلب الناس يستجيبون لكلمة (ورق) بكلمة (قلم) أو ماقاربها أما الاستجابة بكلمة (ذئب) .. ؟! .

٢ — أخضر	زرع	١,٦	»
٣ — ماء	عميق	٥	»
٤ — عصا	سكين	١,٦	»
٥ — طويل	مائده	١,٢	»
٦ — سفينة	يغرق	٣,٤	»
٧ — يسأل	يجيب	١,٦	»
٨ — صوف	يغزل	١,٦	»
٩ — بحيرة	ماء	٤	»
١٠ — مريض	سليم	١,٨	»
١١ — حبر	أسود	١,٢	»
١٢ — يعوم	يستطيع العوم	٣,٨	»

ومما يلاحظ طول زمن الرجع فى الاجوبة ٣ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ كما أن الجواب رقم ١٢ يستلفت النظر بوجه خاص لأن الجواب الذى يستغرق أكثر من ٢,٥ ثانية يعتبر شاذا فى طوله عند من يطبقون هذا الاختبار .

وللاختبارات الاسقاطية عدة مزايا : فهى طرق غير مباشرة تحول دون تحرج المفحوص أو خوفه من التصريح برغباته ومشاعره ومخاوفه مما لا تظفر به المقابلة الشخصية أو الاستخبارات العادية ، وأنها تكشف عن الجوانب اللاشعورية من شخصيته ، وأن احتمال التزييف فيها أقل بكثير منه فى الطرق المباشرة ، هذا إلى أنها تثير من اهتمام المفحوص ما لا تثيره الطرق الاخرى . وتعد من اكثر الوسائل انتشاراً فى الميدان الكلنيكى .

هذه الاختبارات يستخدمها كثير من المؤسسات الصناعية فى الخارج لاختيار المرشحين للمناصب التنفيذية العليا على أساس أنها تقيس قدرة الفرد على تحمل ضغط العمل وأعبائه ومتاعبه . وكثير من الخبراء النفسيين فى محاكم الاحداث وعيادات الصحة النفسية والمستشفيات والعيادات الخاصة يعتمدون عليها اعتمادا كبيرا . غير أن كثيرا من علماء النفس يرون أن قدرتها على التنبؤ ضعيفة إلى حد كبير . ولا يزال الجدل بينهم على استخدامها شديدا

٧ ـ الطريقة الشاملة للحكم على الشخصية

قدمنا أن هناك اتجاهين فى الحكم على الشخصية : الاتجاه التحليلى الذى يقيس السمات عن طريق الاستحبارات والاختبارات ، والاتجاه الكلى الاجمالى الذى يستخدم المقابلة الشخصية ، والطرق الاسقاطية ، وملاحظة سلوك الفرد فى مواقف وظروف مختلفة لأخذ صورة كلية عن الشخصية . الواقع أن هذين الاتجاهين متتامان وليسا متعارضين ، فالشخصية لا يمكن أن توصف إلا عن طريق سماتها البارزة ، وهذه السمات لايكون لها معنى إلا فى إطار صورة كلية للشخصية . لذا فكثيراً ما يستخدمان معا . وهذا مايفعله مكتب الخدمات الاستراتيجية بأمريكا لاختيار رجال الجيش وتوزيعهم على الأعمال التى يصلحون لها ، وكذلك لاختيار رجال المخابرات ممن يقومون بأعمال سرية واستراتيجية وعسكرية خاصة .. فهم يستخدمون فى هذا الأختيار جميع الادوات السيكولوجية التى تتخذ للحكم على الشخصية وقياسها : المقابلة وموازين التقدير واختبارات الذكاء والاستعدادات واختبارات موقفية مختلفة الأنواع . ولكنهم يرون أن «المقابلة» لا تعدلها طريقة أخرى من طرق الحكم على الشخصية فهى خير وسيلة للجمع بين المعلومات واصدار الحكم الاخير على الشخص .

يفد المرشحون فى جماعات ويقيمون مع الحكام فى بناء واحد لمدة ثلاثة أيام . أما الحكام فمن علماء النفس والإطباء النفسين ورجال الجيش أما الطريقة فتتلخص فيما يأتى :

١ ـ ملاحظة سلوك المرشحين من اللحظة الأولى لوصولهم إلى مركز الاختبار : طريقتهم فى تحية زملائهم وفى تحية الحكام ، وسلوكهم أثناء تناول الطعام ، ونوع أحاديثهم مع زملائهم ، وتصرفاتهم المختلفة فى هذا الموقف الجديد .

٢ ـ اجراء اختبارات مختلفة لتقدير ذكائهم واستعداداتهم وكذلك بعض الاستخبارات لتقدير بعض نواحى شخصياتهم.

٣ — تطبيق اختبارات موقفية تستهدف الكشف عن مبلغ ما لدى كل منهم من قدرة على التعاون والتفكير الجماعى والتزعم .

٤ — تكليف المرشحين القيام بمقابلات شخصية تدور حول موضوعات صعبة دقيقة كالتحقيق مع جندى هارب أو استجواب جندى أسير فر من جبهة الأعداء ، أو فض مشكلة قامت بين المفحوص وزملائه .

٥ — عقد مقابلة مع المرشح تستهدف الكشف عن قدرته على احتمال الضغط والتوتر الانفعالى والاجهاد الذهنى : فيسلط على وجهه ضوء ساطع شديد ولا يسمح له أن يدير رأسه أو أن يحجبه بيده ، ثم توجه اليه سلسلة من أسئلة سريعة خاطفة محرجة غير منتظرة تضيق عليه الخناق ، ويطلب اليه الاجابة دون تمهل ودون أن يسمح له بلحظة من التلبث أو الاسترخاء ، أو توجه اليه ملاحظات عنيفة تنقد بعض أعماله ، أو تعليمات متضاربة لا يتفق أحدها مع الآخر .فان هم بالاسترخاء ووضع ساق على الأخرى نهره الحكام وإن أحنى رأسه لتفادى الضوء زجروه ، وإن بدت ثغرة فى كلامه اتهموه بالكذب. وبعد عشر دقائق من هذا الضغط الانفعالى والذهنى والعنت يقولون له إن لديهم الآن أدلة كافية على أنه كان يكذب طول الوقت ، ثم يأمرونه بالأنصراف بعد أن يكونوا قد قدروا له أثناء هذه المقابلة درجة على قدرته على الضبط الانفعالى من ملاحظة تضرج وجهه وجفاف شفتيه وما يسيل على وجهه من عرق وما يعتريه من تلعثم أثناء الكلام ..وتسمى هذه المقابلة العنيفة «بمقابلة الانعصاب» stress interview

لاشك أن هذه الطريقه تكشف الكثير عن المرشح : قدرته على بذل الجهد وعلى الاحتمال وضبط النفس وقدرته على التعاون والتفكير الجماعى وعلى القيادة والمبادأة والابتكار وكتم الأسرار .. غير أنها لا تزال فى طفولتها تنتظر البرهان على أنها أفضل من غيرها من الطرق لتبرير ما تتطلبه من جهد ووقت وتكاليف .

الفصل الثالث
نمو الشخصية وعوامل تكوينها

١ ـ أصول الشخصية ونموها

لو نظرنا إلى الرضيع الوليد لم نستطيع أن نميز فى سلوكه إلا نوعا من النشاط الحركى العام وتعبيرا انفعاليا عاما لا تتميز فيه الانفعالات بعضها عن بعض . وكلما تقدم به العمر أخذت حركاته تتحدد بالتدريج وبدأت انفعالاته تتمايز ، ثم يطرد ظهور سمات أخرى لديه كالانانية والعناد وحب الاجتماع بالناس والسيطرة أو الانطواء أو الخجل أو التجهم والعدوان ... حتى إذا ما استوى راشداً أصبحت سمات شخصيته من الكثرة والتعدد والتعقد بما لا يمكن عده وحصره . فنمو الشخصية كنمو الجنين .

ولا يقتصر نمو الشخصية على تمايز السمات وزيادة عددها ، بل يبدو كذلك فى زوال بعض السمات أو تهذيبها . فكما أنه يبدو فى اكتساب دوافع واتجاهات وعادات وميول جديدة ، كذلك يتضح فى ترك سمات طفلية كثيرة أو تحويرها وتكييفها للمجتمع ، كالأنانية والاندفاع والاتكال على الغير وطرق اشباع الدوافع والتعبير عن الانفعالات .

ونمو الشخصية كأى ضرب آخر من النمو ، هو حصيلة تفاعل الميراث الفطرى البيولوجى للفرد مع بيئته ، خاصة البيئة الاجتماعية ، حتى لتعرف الشخصية أحيانا بأنها طبيعة الفرد بعد أن يحورها التفاعل الاجتماعى . فمن مطلع الحياة تكون الصلة بين الرضيع وأمه صلة تفاعل وتجاوب وليست صلة سلبية ، فهو يستجيب للجوع والالم بالصياح ، وصياحه هذا يكون بمثابة منبه لأمه التى تستجيب له بوضع الثدى فى فمه ، هذه الاستجابة تصبح بدورها منبها للطفل يستجيب له بالرضع . ثم تأخذ الاسرة فى صقله وتشكيله كى يندمج فى اطارها الثقافى الخاص بها وفى الاطار العام للمجتمع . حتى

إذا ما تقدمت به السن واتسع محيطه الاجتماعى أضحى عرضة لمؤثرات أخرى تأتيه من المدرسة ومن رفاقه فى اللعب ومما يستطيع أن يقرأه أو يسمعه أو يطلع عليه . فاذا ما شب عن الطوق وأتيح له أن يبسط صلاته الاجتماعية عن طريق مهنته وزوجته وأقاربه وعن طريق الجمعيات أو الاندية التى يشترك فيها ، والأدوار الاجتماعية التى يقوم بها .. تعرض لمؤثرات أخرى يكون لها بعض الاثر فى تنمية شخصيته وتحويرها .. وهكذا تزداد شخصيه الفرد ثراء كلما زادت صلاته الاجتماعية اتساعا . إن نمو الشخصية نتيجة للأخذ والعطاء مع الغير ممن يشتركون مع الشخص فى نفس الحضارة . هذه العملية ضرورية لنمو الشخصية كما أن عملية الأخذ والعطاء بين الرئتين والهواء ضرورية للحياة ونمو الجسم .

صفوة القول أن موقف الانسان من بيئته ليس موقفا سلبيا مطاوعا ، أى أنه لا ينفعل بها طبعا ولا يتشكل كما يتشكل الصلصال فى يد الصانع ، كما أن البيئة ليست شيئا سلبيا تأذن له أن يظفر منها بما يريد كيف يريد ، بل انها تقاومه وتؤثر فيه . فالعلاقة بينهما علاقة تفاعل ، وشد وجذب وصراع موصول .. فى أثناء هذا التفاعل والصراع تتكون شخصيته وتنمو ويتعين شكلها . ولقد صور لنا «فرويد» هذا الصراع وبين لنا مقوماته البيولوجية والاجتماعية فى تشريحه الشخصية إلى جوانب ثلاث هى «الهو» و« الأنا» و «الأنا الأعلى» .

مما تقدم نرى أن نمو الشخصية عملية اكتساب واضافة وحذف وتعديل وتهذيب للسمات ، إنه عملية تعلم تبدأ من ميلاد الفرد وتستمر طول حياته .

٢ – الهو والأنا والأنا الأعلى

كان « فرويد » أول من صور تفاعل العوامل الوراثية مع العوامل البيئية ، خاصة الاجتماعية وصراع هذه مع تلك ، وأثر ذلك فى تكوين الشخصية ونموها ، كما بين كيف تنشأ سمات الشخصية وكيف تتغير وكيف تنحرف نتيجة لهذا التفاعل والصراع . وهكذا تتميز نظريته فى

الشخصية عن غيرها من النظريات بأنها لم تقنع بوصف سمات الشخصية بل حاولت تفسير نشأتها . يرى فرويد أن للشخصية جوانب ثلاثة هى («الهو» و «الأنا» أو الذات و «الأنا الاعلى» أو الذات العليا .

الهو ID

هو منبع الطاقة البيولوجية والنفسية التى يولد الفرد مزودا بها . فهو يضم الدوافع الفطرية التى ترجع إلى ميراث النوع الانسانى كله : الحاجات الفسيولوجية وغريزة الجنس وغريزة العدوان . وبعبارة أخرى فهو طبيعة الانسان الحيوانية قبل أن يتناولها المجتمع بالتحوير والتهذيب . وهو جانب لا شعورى عميق ليس بينه وبين العالم الخارجى الواقع صلة مباشرة . لذا فهو لا يعرف شيئا عن الأخلاق والمعايير الاجتماعية ، ولا يعرف شيئا عن الزمان والمكان . فالرضيع يصرخ ويرفس ويتبول متى شاء وحيث شاء وكيف شاء أى أنه يندفع إلى اشباع حاجاته اندفاعا عاجلا مباشرا كاملا بكل صورة وبأى ثمن . لذا يقال إنه يسير بوحى «مبدأ اللذة» لأنه يستهدف تجنب الألم والتوتر وإحداث اللذة .

الأنا: EGO

هو جانب من الشخصية يتكون بالتدريج من اتصال الطفل بالعالم الخارجى الواقعى عن طريق حواسه ، فالطفل الصغير يرى اللهب جذابا فيلمسه فيشعر بالألم فيتعلم أن يتجنب اللهب ، كذلك يتعلم عن طريق السمع أن هناك أصواتا تعنى الخطر فيتفادى مصدرها أو يقى نفسه منها . وعن طريق صلته بأمه وخبراته الحسية يتعلم أنه لا يستطيع أن يظفر بما يريد متى أراد وكيفما أراد ، وأن هناك ضروبا من السلوك تجلب له السرور وأخرى تجلب له الألم والقلق كما يدرك أن الارضاء الفورى يجلب له المتاعب فيبدأ فى تعلم الانتظار والاحتمال المؤقت . على هذا النحو يتكون «الأنا» وينمو بتأثير الخبرات المؤلمة والتربية واللعب فيحد من غلواء «الهو» واندفاعه ويعمل على ضبطه وتوجيهه فيحمى الطفل من الأخطار التى تهدد كيانه إذا انساق لمطالب الهو فى غير حذر . فوظيفته اذن وقائية . وهو شبيه بقشرة الشجرة وهى جزء منها تصلب بفعل عوامل الجو الخارجية ليحمى الشجرة .

وبعبارة أخرى فوظيفة الأنا هى (اختبار الواقع) والتكيف له والمحافظة على الحياة وأتقاء الاخطار . ووسائله العمليات العقلية المختلفة والارادة .

لذا كان الأنا مركز الشعور والادراك والتفكير والحكم والتبصر فى العواقب . كما أنه المشرف على أفعالنا الارادية أى المشرف على الجهاز الحركى الارادى ، فعن طريقة تتحقق الدوافع أو لا تتحقق .

ونضع ما تقدم فى صورة أخرى فنقول إن للأنا وجهين : وجه يطل على الدوافع الفطرية الغريزية فى الهو ، وآخر يطل على العالم الخارجى عن طريق الحواس . ووظيفته هى التوفيق بين مطالب الهو والظروف الخارجية وهى القوانين والتقاليد والقيم وضروب الاغراء أى أنه يحارب فى جبهتين : جبهة داخلية ترهقه بالمطالب وجبهة خارجية تهدده بالفناء .

وأنا الطفل الصغير ضعيف فج ناقص النمو عاجز عن معالجة المشاكل التى يواجهها ، لذا وجبت علينا حمايته حتى يشتد أناه ، أما الراشد السوى الناضج فيسير على هدى (مبدأ الواقع) لا مبدأ اللذة ، وهو مبدأ يحمل الفرد على أن يرجىء اشباع دوافعه ورغباته ، وعلى أن يحتمل ما يترتب على هذا الارجاء والتنازل من ألم وقتى فى سبيل اللذه الآجلة . وبعبارة أخرى فالأنا ، عند الراشد السوى ، يحاول ارضاء دوافع الهو بغير الطرق الفطرية الساذجة التى قد تضر بالفرد ، ويكون ذلك إما بكبت هذه الدوافع أو بتحويرها أو تأجيل إشباعها أو الاستعاضة عنها بغيرها .

أما الأنا عند الطفل والمصابين بأمراض نفسية وعقلية وكثير من المجرمين فلايزال يخضع لمبدأ اللذة إلى حد قليل أو كبير

والأنا هو مانستطيع أن نسميه على وجه التقريب بالشخصية الشعورية أو (الذات) . وهو يتكون من الخبرات والاتجاهات والعادات التى يتعلمها الفرد (١).

---

(١) يستخدم اصطلاح (الذات) فى علم النفس اليوم بمعنيين :

١ — (فكرة الفرد عن نفسه) من حيث ما يتسم به من خصائص ومزايا وعيوب .

٢ — (الأنا) وهو مجموع العمليات النفسية التى تهيمن على التكيف والسلوك . ووظيفته المحافظة على الحياة واتقاء الاخطار والكشف عن أنسب الوسائل وأقلها خطرا للحصول على الاشباع .

ونشير أخيراً إلى أن (النمو النفسى) السليم يتلخص فى استبدال مبدأ الواقع بمبدأ اللذة تدريجياً .

الأنا الأعلى SUPEREGO

تتلخص تربية الطفل منذ عهد مبكر جداً من حياته فى صراع دائم بين مايريدعمله وبين ما يريدهعليه والداهأو من يحيطونبه . وللوالدين أساليبهما الخاصة من الثواب والعقاب فى هذه التربية . وسط هذا الصراع الموصول يرى الطفل نفسه مضطراً إلى أن يكف نفسه عن كثير مما يشتهى وإلى أن يقوم بأشياء لا يميل اليها بطبعه كى يتجنب استهجان الكبار أو عقابهم . والطفل السوى يتعلم على كره منه وبعد مرات لا حصر لها من التمرد والاحتجاج ، يتعلم أن يكيف سلوكه وفق المعايير التى يراها والداه لازمة لمن فى سنه من الأطفال . فاذا به قد أصبح يكف نفسه عن المشى فى الماء وتسلق الأثاث والنظر من النافذة وكسر الآنية ومشاكسة أخيه الأصغر وجذب ذيل القط والكشف عن عورته ، وإذا به قد أخذ يتعلم أن يراعى قواعد النظافة وأن يأكل من طبقه الخاص وأن يحيى بيده اليمنى وأن ينام حين يأمر والداه . على هذا النحو تتبلور فى نفس الطفل بالتدريج وعلى غير قصد منه أوامر الوالدين ونواهيهما وأفكارهما عن الصواب والخطأ ، عن الخير والشر ، عن الحق والباطل ، عن العدل والظلم .. تتبلور على شكل « سلطة داخلية » تقوم مقام الوالدين حتى فى غيابهما فيما يقومان به من نقد وتوجيه وقطب : هذا الحارس أو «الرقيب النفسى» هو «الأنا الأعلى» أو ما نستطيع أن نسميه تجوزاً بالضمير eonseiemce . فبعد أن كان الطفل يعمل الفعل المباح ويمتنع عن المحظور خوفاً من سلطة خارجية ، أصبح يحمل بين جانبيه «مستشاراً خلقياً» يرشده إلى مايجب عمله وينهاه عما لا يجب عمله ، ويحكم له بالصواب إن أصاب وبالخطأ إن أخطأ ويجزيه راحة وسروراً إن فعل ما يرضاه ويعذبه بوخز الضمير

– وهو الشعور بالذنب – إن حاد عما يريد . ثم يستمر الضمير فى النمو عن طريق التعلم واستدماج الفرد قيم المجتمع وقواعده .

والأنا الأعلى يبدأ تكوينه من سن مبكرة وبما أنه يكتسب فى بواكير الطفولة فهو لا شعورى إلى حد كبير أى أنه يحرك سلوك الفرد ويوجهه ويعاقب عليه بطريقة آلية تلقائية ، وهو ككل استعداد أو اتجاه يكتسبه الفرد فى طفولته ذو أثر عميق باق فى حياته كلها . نعم قد يصيبه التحوير والتعديل بازدياد ثقافة الفرد وخبرته وصلاته الاجتماعية فى المدرسة وغيرها بمن يحبهم ويحترمهم أو يعجب بهم من الناس فلا يظل صورة طبق الأصل من تعاليم الوالدين ؛ لكنه يظل دائماً محتفظاً بقدرته على الحكم والعقاب إن فعلنا ما يخالفه أو حتى لمجرد تفكيرنا فيه . فالنية عند الضمير مثل الفعل سواء بسواء . ويبدو هذا الأثر الباقى للضمير فى تشبث الكبار المثقفين بتقاليد بالية وانحيازات طفلية واتجاهات وأفكار بدائية لا تتمشى مع المنطق ولا تساير على الإطلاق ما بلغوه من مستوى ثقافى وعلمى .

ونجمل ما تقدم فى أن الأنا الأعلى وهو الضمير اللاشعورى الذى يقوم بالضبط والربط داخل النفس :

– هو من حيث تكوينه جملة القيم والمعايير والمعتقدات والمبادىء الخلقية التى يستخدمها الفرد فى الحكم على دوافعه وسلوكه والتى يهتدى بها فى تفكيره وأفعاله . إنه حصيلة عملية التطبيع الاجتماعى (١).

– وهو من حيث وظيفته جانب الشخصية الذى يوجه وينقد ويوقع العقاب . فهو سلطة تشريعية قضائية تنفيذية فى آن واحد .

– أما من حيث هو قوة محركة فيمكن تعريفه بأنه استعداد لاشعورى دافع مانع رادع مكتسب على أساس من الخوف والحب والاحترام .

---

(١) التطبيع الاجتماعى هو عملية التفاعل الاجتماعى التى يتم بها تكييف الفرد – خاصة الطفل – لبيئته الاجتماعية واكتسابه شخصية . وذلك عن طريق استدماجه المعايير والقيم الاجتماعية .

وقد بينت دراسات التحليل النفسى الحديثة أن بين الأنا الأعلى والأمراض النفسية والعقلية صلة وثيقة خاصة بعصاب الوسواس وذهان الاكتئاب اللذين يتسم المريض فيهما بضمير صارم وشعور شديد بالذنب والقيام بأعمال تكفيرية نشأت كلها أصلامن فرض المعايير والمحرمات على الطفل فى شدة وقسوة حتى ليرتبط الشعور بالذنب بكثير من أفكار الطفل وخواطره وأفعاله. لذا يجب أن نراعى فى تربيتنا الطفل أن يتقبل المعايير عن طريق حبه لنا واعجابه بنا لا عن طريق الخوف والقسوة ، وأن يكون شعارنا هو التوسط بين التساهل التام والكبح الشديد .

الصورة الدينامية للشخصية :

من هذا نرى أن الشخصية تنطوى على ثلاثة جوانب : جانب بيولوجى يمثله الهو ، وجانب سيكولوجى يمثله الأنا الذى هو مقر العمليات العقلية العليا والإرادة ، وجانب اجتماعى يمثله الأنا الأعلى . وهى جوانب ليست مستقلة بل فى صراع دائم متبادل . فوظيفة الأنا هى التوفيق بين مطالب الهو ومطالب الواقع الخارجى ومطالب الضمير . وبعبارة أخرى فهو محط شد وجذب بين ثلاث قوى عليه أن يرضيها جميعاً وأن يوفق بينها جميعاً . فإن ثار دافع من دوافع الهو كالدافع الجنسى أو دافع العدوان مثلا تعين على ألأنا أن يرضيه بصورة لا تضر بصالح الفرد فى المجتمع ولا يترتب عليها شعوره بالذنب من جراء سخط ضميره . فإن نجح الأنا فى هذه المهمة التوفيقية التكاملية الشاقة الدقيقة سارت الحياة النفسية سيراً سوياً واتجهت الشخصية إلى التكامل والاتزان ، وإن فشل فى هذا التوفيق لشطط فى إحدى القوى الثلاث المحيطة به ، اختل التوازن النفسى وكانت النتيجة مرضاً نفسياً أو عقلياً أو سلوكاً اجرامياً إلى غير ذلك من ضروب سوء التوافق والانحراف . مثل الأنا القوى السوى كمثل الحكومة الديمقراطية تستمع للجميع ، وتعترف بحاجات الجميع ، وتتوسط ليتراضى الجميع .

وإذا كانت قوة الأنا شرطاً ضرورياً لتكامل الشخصية والصحة النفسية للفرد فعلى الوالدين والمعلمين معونة الطفل تدريجا على التخلى عن (مبدأ اللذة) وتوجيه حياته وفق (مبدأ الواقع) . إن مبدأ اللذة يستهدف ما يجلب اللذة وتجنب المؤلم دون اعتبار لمقتضيات الواقع . أما مبدأ الواقع فيستهدف اشباع الحاجات مع مراعاة الواقع حتى إن كان مؤلماً.

وهكذا يتضح لنا أن الشخصية إن كانت تمثيلية ، فهذه الجوانب — الهو والأنا والأنا الأعلى — ممثلوها الثلاثة ، أما منظر الرواية فمنظر معركة . وبعبارة أخرى فالشخصية ميدان لصراع كثير من القوى والدوافع ، وهو ميدان يصطرع بدوره مع ميدان البيئة الاجتماعية والثقافية(١)— هذه الصورة الدينامية المتدافعة الجوانب للشخصية الإنسانية تعد أهم ما أضافته مدرسة التحليل النفسى لا إلى نظرية الشخصية فحسب ، بل وإلى علم النفس بوجه عام .

٣ — كيف تكتسب السمات

التطبيع الاجتماعى : Socialisatign

لايولد الطفل «انساناً» أواجتماعياً ، وعلى المجتمع أن يأخذ فى صقله وترويضه وتعليمه حتى تظهر انسانيته من ثنايا طبيعته الحيوانية . وتسمى هذه العملية التى يتم بها تكييف الفرد — خاصة الطفل — لبيئته الاجتماعية عملية «التطبيع الاجتماعى» إنها عملية تعلم غير مقصود وتعليم مقصود يقوم به الآباء والمعلمون وغيرهم من الذين يمثلون ثقافة المجتمع ، وهى عملية تستهدف تعليم الفرد الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج فى ثقافته وإتباع تقاليده والخضوع لا لتزاماته ومجاراة الآخرين بوجه عام . والتربية الاجتماعية والخلقية التى يقوم البيت والمدرسة بأكبر جانب منها هى

---

(١) لاتخلو حياة إنسان من صراعات نفسية والأنا القوى يستطيع حسم هذه الصراعات والتحكم فيها بصورة مرضية ، أما الأنا الضعيف فيعجز عن ذلك فتظل الصراعات قائمة غير محسومة ، وهذا يحول دون تكامل الشخصية والتوافق السليم . لذا فقوة الانا شرط ضرورى للصحة النفسية ، بل يجعلها البعض مرادفة للصحة النفسية .

لب عملية التطبيع التى تبدأ من المهد ثم تستمر طول الحياة عن طريق تفاعل الفرد مع الجماعات المختلفة التى ينتمى اليها : جماعات اللعب والعمل والنادى والجماعات السياسية والثقافية والدينية والنقابة المهنية والجماعات الدولية . فما يجب أن يتعلمه الطفل ؟ .

١ ــ عادات المشى والأكل والنوم وضبط المثانة والأمعاء . والاستحياء الجنسى ، وكف العدوان على الإخوة والأبوين والكبار .

٢ ــ القدرة على كف الدوافع غير المرغوبة أو الحد منها ، ومما يجدر ذكره أن أكبر شطر من عملية التطبيع يتلخص فى إقامة حواجز ضد الإشباع المباشر للدوافع الجنسية والعدوانية ، وهى حواجز لازمة لبقاء كل مجتمع . لذا فهى توجد على نحو ما حتى فى أكثر الشعوب بدائية .

٣ ــ كثير من العادات وطرق التصرف الملائمة والآداب الاجتماعية ، هذا إلى اتجاهات معينة نحو الآخرين ونحو السلطة ونحو المبادىء ــ نحو الأسرة والمدرسة والدين والدولة ــ فضلا عن تعليم الذكور والاناث الادوار الاجتماعية التى يرسمها المجتمع لكل منهما .

٤ ــ القدرة على التوقيت المنظم ، أى القيام بأعمال معينة فى أوقات معينة .

التطبيع والطبقة الاجتماعية :

والتطبيع يختلف من مجتمع إلى آخر ، ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى . فقد وجد أن الطبقة الإجتماعية الدنيا فى أمريكا أكثر تسامحاً فى عملية التطبيع من الطبقتين الوسطى والعليا . فأفرادها يميلون إلى عدم التبكير بفطام الطفل ، وإلى اطعامه حسب رغبته لا حسب جدول زمنى صارم مفروض ، وإلى عدم التعجل فى تدريبه على عملية الإخراج . وأطفال الطبقة

الوسطى يتعلمون التعبير عن مشاعرهم العدوانية عن طريق التنافس والمبادأة أو الطموح الزائد، فى حين أن أطفال الطبقة الدنيا يعبرون عن عدوانهم فى صراحة بالعدوان المباشر (المشاجرة والسرقة والسب) .

وفى مصر تميل الطبقة الوسطى إلى أن تفطم أطفالها من سن مبكرة (أقل من سنة) فى حين أن الطبقة الدنيا تفطم أطفالها فى سن متأخرة نسبياً (أكثر من سنة ونصف) . ويبدو هذا التبكير أيضاً فى تدريب الطفل على الإخراج والنظافة ، كما وجد أن الآباء فى الطبقة الدنيا أكثر تسا هلا بكثير فى السماح لأطفالهم فى الخروج إلى الشارع بمفردهم (الاستقلال) من سن مبكرة ، فى حين أن آباء الطبقة الو سطى أميل إلى الاتجاه الوقائى المتزمت خشية أن تفسد اخلاق أطفالهم من الاحتكاك بأقران السوء . وقد اتضح أيضاً أن العقاب البدنى هو وسيلة الطبقة الدنيا لمنع العدوان فى حين تلجأ الوسطى إلى النصح والارشاد اللفظى . أما التربية الجنسية فمجتمعنا بكافة طبقاته أميل إلى التشدد وعدم التساهل فيها (من بحث للاستاذين عماد ونجيب اسكندر).

وعدة الأبوين والمجتمع فى عملية التطبيع هى الثواب والعقاب ، التشجيع والتثبيط ، المدح والذم ، أى التدعيم الايجابى لضروب السلوك التى تلاقى استحسان الجماعة والتدعيم السلبى لتلك التى تلاقى استهجانها .

وفى هذا يقول «أيزنك» Eysenck الشخصية تعنى أنماط السلوك والعادات والميول الراسخة والثابتة نسبياً والتى يكتسبها الفرد طول حياته على أساس من وراثته واستجابة لضروب الثواب والعقاب التى تلقاها طول حياته .

طرق أخرى للتطبيع :

١ — إلى جنب هذه السمات التى يعمل الآباء والمربون عامدين على غرسها فى نفوس الأطفال هناك سمات أخرى كثيرة يكتسبها الطفل عن غير قصد نتيجة لخبراته اليومية وذلك عن طريق التعلم الشرطى الذى

يقوم بدور كبير فى تكوين الشخصية فى مرحلة الطفولة المبكرة : فقد رأينا من قبل أن الطفل يتشرب عن طريق **القابلية للايحاء** كثيراً من الآراء والمشاعر والاتجاهات والمعتقدات الشائعة فى أسرته دون قصد منه ، كاتجاهاتها نحو المباح أو المحظور ، نحو المسالمة أو العدوان ، نحو الدين والدولة ، نحو النظام والفوضى . بل إنه ليتأثر كثيراً بالجو الانفعالى الذى يسود البيت ، فإن كان جواً تغشاه الكآبة أو الرعب أو روح المرح انعكس ذلك على كل فرد فيه . وأم الطفل إن كانت شديدة التلهف عليه أو دائمة الانقباض أو سريعة الاهتياج أو بادية الجشع .. نقلت إلى طفلها عن طريق العدوى الاجتماعية هذه السمات .. وليست القابلية للايحاء إلا نوعا من التعلم الشرطى .

٢ — وتعطى مدرسة التحليل النفسى أهمية كبرى لعملية **التقمص** فى تكوين الضمير والخلق والميول والاتجاهات والأذواق والعادات . والتقمص عملية نفسية لا شعورية ، أى غير مقصودة تندمج بها شخصية فرد فى آخر اندماجاً كلياً فاذا به يحس باحساسه ، ويفكر بعقله ، ويصدر عن رغباته ، فالقمص توحد فى الأفكار والمشاعر والرغبات والمعتقدات . ونحن فى العادة نتقمص شخصيات من نحبهم أو نعجب بهم من الناس . فالولد الذى يتقمص شخصية أبيه الكادح المثابر يشب كأبيه كادحاً مثابراً ، فإن كان الأب محتالا فخوراً شب الولد على شاكلته . والبنت الصغيرة التى تتقمص شخصية أمها المتأنقة سرعان ما تمسى مزهوة معجبة بنفسها ، فإن تقمصت شخصية أبيها أصبحت مسترجلة وما لت إلى أعمال الرجال .

والطفل فى أول الأمر يتقمص والديه كليهما ، ثم يدرك أن أوجه الشبه بينه وبين الوالد من نفس جنسه أكبر من التشابه بينه وبين الوالد من الجنس الآخر فيزداد تقمصه للوالد الأول ويقل للثانى . ولو فعل غير ذلك لكراهيته للوالد الأول ردته الضغوط الاجتماعية .

٣ – **واحباط الدوافع** كثيراً ما يؤدى إلى تقويتها وتحويلها إلى سمات وعادات ثابتة . فالشره قد يرجع إلى الحرمان من الطعام أكثر مما يرجع إلى الإسراف فيه . وكثيراً ما يكون الشطط والانحراف الجنسى نتيجة لتربية جنسية متزمتة لا متحررة ، وإهمال الطفل وعدم الالتفاف اليه قد يجعله يزج بنفسه فى كل شىء ويستعرض نفسه فى كل مناسبة ، والشعور بالنقص قد يحمل صاحبه على أداء أعمال ناجحة أو عظيمة . فالإحباط يقوى الميول والرغبات حتى إن كثيراً من الناس يرغبون فى الشىء لمجرد أنه ممنوع . ولو كان غير ممنوع ما أثار فيهم الرغبة .

* * *

والنقطة الشائكة فى عملية التطبيع هى : كيف يمكن التوفيق بين الأفكار التقليدية التى يستمسك بها الكبار وبين الاتجاهات التقدمية الحديثة التى تعطى للطفل حقوقاً ومكانةلم يكن يتمتع بهامن قبل ؟كيف يمكن المحافظة على البناء الاجتماعى والثقافى التقليدى مع إعداد الطفل لعصر يختلف فى مفاهيمهواتجاهاته وقيمه ونظرته إلى الحياة عن العصر الذى يعيش فيه الآباء ؟ هذه هى المشكلة التى تعانى منها المجتمعات الحديثة . وقيام هذه المشكلة دون حل من الأسباب الرئيسية فى تمرد الشباب اليوم .

السمات المزاجية: :

يلاحظ أن الشخصية تنطوى على سمات أخرى ترجع فى المقام الأول الأول إلى التكوين الوراثى للفرد ، هى السمات المزاجية كالحيوية أو الخمول ، ودرجة التأثر الانفعالى ، وقوة الاستجابة الانفعالية أو ضعفها وتقلب المزاج ، وهى سمات لايحتاج ظهورها واتضاح أثرها إلى تعلم أوتدريب ، بل تكفى لظهورها عملية النضج الطبيعى وحدها . هذه السمات المزاجية تشاهد عند الرضعاء حديثى الولادة – أنظر ص ١٧٥ .

وقد دلت البحوث التجريبية على أن هناك تكوينات وراثية تهيىء الفرد لانفعالات معينة دون غيرها ، فقد أسفرت الاستخبارات والتقارير

الاستبطانية عن أن التشابه بين التوائم الصنوية أكبر بكثير منه بين التوائم اللاصنوية من حيث ما يغشاها من مخاوف وقلق وشعور بالثقة بالنفس ، كما دلت التجارب أيضاً على أن التشابه بين التوائم الصنوية أكبر منه بين الأخوة العاديين من حيث عنف الاستجابة للمواقف التى تثير الانفعال كما يقيسها الرسام الكهربى للمخ . كما ظهر من دراسات تجريبية احصائية أجريت على توائم صنوية ولا صنوية من الأسوياء وكذلك على توائم عصابية أى تعانى من عدم الاستقرار الانفعالى ، ظهر أن قابليه الفرد للاصابة بالعصاب ، أى المرض النفسى ، تحددها الوراثة إلى مدى بعيد .

وهذا على خلاف مايراه «فرويد» الذى يذهب إلى أن أهم عامل فى التمهيد للعصب هو أحداث بيئية تقع فى الطفولة المبكرة .

٤ – عوامل تكوين الشخصية

ذكرنا أن الشخصية تتقوم وتتشكل من تفاعل عوامل بيولوجية ، وراثية وغير وراثية ، مع عوامل بيئية ، مادية واجتماعية . . فمن العوامل الوراثية بنية الفرد ومظهره وطوله ولون بشرته ومزاجه وكونه ذكراً أو أنثى أما العوامل البيئية فعلى أنواع ثلاثة :

١ – عوامل جغرافية .

٢ – عوامل اجتماعية وهذه تشمل :

(أ) الاطار الثقافى العام للمجتمع وهو يضم القيم والمعايير الخلقية والروحية والأفكار والمعتقدات الشائعة بين السواد الأعظم من أفراد المجتمع والتى تختار كل طبقة اجتماعية منها ما يناسبها . هذه الثقافة السائدة فى المجتمع تطبع الفرد بطابع معين مميز هو (الشخصية القومية) . فشخصية الأمريكى غير شخصية الفرنسى أو المصرى .

(ب) عوامل ثقافية خاصة بالطبقة الاجتماعية والأسرة والمدرسة والجمعيات والأندية والأصدقاء ووسائل الإعلام .

(جـ) عوامل ثقافية فردية وهى الدور الجنسى والدور المهنى للفرد

٣ – ونستطيع أن نضيف إلى هذين النوعين من العوامل البيئية نوعاً ثالثاً هو العوامل **الاتفاقية** التى تعرض للفرد ، كمركزه فى الأسرة أو حادثة أو مرض شديد ابتلى به ، أووفاة أبيه من سن مبكرة ، أو حرمانه من أمه ، أو وضعه فى ملجأ ، أو وجوده مع زوجة أب ، أو اقامة اسرته فى جوار سيىء ،أو نوع المدرسة التى يتردد عليها ..

من تفاعل هذه العوامل البيولوجية والبيئية المختلفة تتكون الشخصيات فيصبح كل شخص منا يشبه جميع الناس من بعض الوجوه ، ويشبه بعض الناس من بعض الوجوه ولا يشبه أحداً من الناس من بعض الوجوه

وسنعالج فيما يلى أثر الغدد الصم فى الشخصية ثم أثر العوامل الجغرافية ثم أثر الأسرة فى مرحلة الطفولة أقوى سلاح يستخدمه المجتمع فى عملية التطبيع الاجتماعى ، يلى ذلك صلة مركز الطفل فى أسرته بشخصيته ، ثم أثر كل من المدرسة ومرحلة المراهقة وأخيراً أثر الدور الاجتماعى الذى يقوم به الفرد .

٥ – الشخصية والغدد الصم

أشرنا من قبل إلى أن بالجسم غدداً صما تفرز مواد ذات فاعلية شديدة تسمى «الهرمونات» وهى مواد إن لم تفرز بقدر معلوم اختل ميزان الجسم ، وبدت تغيرات ملحوظة فى مظهر الشخص وبنيته ومزاجه وذكائه وسمات شخصيته ، وإليك كلمة موجزة عن أهم هذه الغدد صلة بالشخصية (١) هذه الغدد تؤلف نظاماً متكاملا متفاعلا بحيث أن اضطراب واحدة منها يؤثر فى سائرها .

الغدة الدرقية : لافرازها صلة مباشرة بعملية الأيض أى بالتغيرات البنائية والهدمية فى الأنسجة . فإن أفرط نشاطها زاد نشاط العمليات

---

(١) أدرجنا هذه الغدد فى عداد العوامل الوراثية التى تؤثر فى بناء الشخصية . غير أن هذه الغدد قد تكون سليمة بالوراثة ، ثم يصيبها عطب أو مرض يخل من وظائفها فتتأثر من ذلك شخصية الفرد .

الحيوية ، وأصبح الفرد قلقاً ضجراً سريع الاهتياج غير مستقر انفعالياً وحركياً ، وإن فترتشاطها أى قل افرازها أصبح الفرد خاملا بليداً ، واصابه البطء فى تفكيره وتذكره وحركاته . وسارع إليه التعب وأصيب بالهبوط وفقد الشهية . وترجع بعض حالات الكسل عند التلاميذ وانخفاض تحصيلهم الدراسى عن مستوى ذكائهم إلى قصور طفيف فى افراز الدرقية .

غدتا الأدرنالين : يفرز نخاعهما مادة الادرنالين ، وهو هرمون قوى يزداد افرازه فى حالات الانفعال العنيف كالخوف والغضب والألم الجسمى والجوع فيعين الجسم على تعبئة طاقته لمواجهة الطوارىء ويعد الفرد للهرب أو القتال (أنظر ص ١٦٠) . أما قشرة هاتين الغدتين فتفرز هرمونات عدة منها هرمون «الكورتين» وهو لازم للعمل العقلى الموصول ومقاومة العدوى إن زاد افرازه أدى إلى تضخم خصائص الذكورة عند الرجل وإلى ظهور سمات الرجولة عند المرأة فيغلظ صوتها ويأخذ الشعر ينبت فى لحيتها ويتساقط شعر رأسها . أما إن قل افرازه نتيجة الاجهاد الانفعالى أو مرض الكليتين أصيب الفرد بالضعف العام وفترت رغبته الجنسية واتخفضت عملية الأيض عنده ، وأصبح سريع الاهتياج وأصيب بالاكتئاب والأرق .

الغدد التناسلية : هى المبيضان لدى الأنثى والخصيتان لدى الذكر . تفرز هذه الغدد نوعين من المفرزات احدهما خارجى هو الحيوانات المنوية عند الذكر والبييضات عند الأنثى ، والثانى داخلى هو الهرمونات الجنسية ، ولهذه الهرمونات أثر كبير فى نمو أعضاء التناسل وفى النمو الانفعالى . فهى تعين على نضج الأعضاء التناسلية وعلى ظهور الخصائص الجنسية الثانوية لدى الجنسين كظهور اللحية وتضخم الصوت عند الذكور ، ونمو الفخذين وبروز الصدر وترسب الشحم تحت الجلد عند الإناث ، كما أنها تسهم فى ظهور سمات الذكورة والأنوثة النفسية لدى الجنسين وفى تنشيط الدافع الجنسى لدى الجنسين بشرط ألا تنسى أثر العوامل

النفسية والاجتماعية فى تنشيط هذا الدافع أو تعطيله أو انحرافه لدى الإنسان (أنظر ص ٩٣) . ونقص الهرمونات الجنسية أو انقطاعها فى سن الشيخوخة له آثار نفسية خطيرة منها الاكتئاب والقلق والتهافت ، بل يراه بعض العلماء من العوامل التى تعجل بظهور ذهان الاكتئاب (الملانخوليا) .

الغدة النخامية : يفرز الفحص الأمامى منها خمسة أنواع من الهرمونات يؤثر أحدها فى النمو الجسمى العام ، إن زاد افرازه فى الطفولة والمراهقة أصبح الفرد «عملاقاً» إذ تطول قامته إلى مترين ونصف ، أما إن زاد إفرازه بعد المراهقة أى بعد توقف نمو العظام زاد حجم الأنف والأذنين واليدين والقدمين والفك الأسفل مع أحديداب الظهر . أما إن نقص افراز هرمون النمو أدى إلى «القزامة» حيث لا يزيد طول القامة على متر وربع المتر .

أما الهرمون الثانى فيؤثر فى نمو الغدد الجنسية ونشاطها . إن نقص إفرازه توقف نمو الجهاز التناسلى .

وهرمون ثالث يؤثر فى نمو الغدة الدرقية ونشاطها . إن زاد افرازه تضخمت الغده وزاد افرازها .

أما الهرمون الرابع فيسمى «البرولاكتين» وينشط إفرازه عند الأم بعد أن تضع مولودها .

وهرمون خامس يقوم بعدة وظائف منها ضبط مستوى السكر فى الدم

أما آثار اضطراب الفص الخلفى للغدة النخامية فغير معروفة على التحديد ، وتسمى الغدة النخامية (زعيمة الغدد) لها لما من تأثير شامل .

لقد ظهر أن اضطرابات هذه الغدد توجد كثيراً فى حالات انحراف السلوك . فقد اتضح من فحص ٢٥٠ سجيناً أن عدم التوازن الهرمونى لديهم يساوى ضعفه أو ثلاثة أمثاله عند أفراد أسوياء . ومن دراسة ١٠٠٠ طفل مشكل وجد أن ٢٠٪ منهم يعانون من اضطراب هرمونى ، وأن هناك ارتباطاً مباشراً بين هذا الاضطراب وانحراف السلوك عند حوالى

نصف هؤلاء ، وأن الغدد المضطربة كانت النخامية فى الغالب تليها الدرقية . وقد أدى العلاج بخلاصات الغدد إلى تحسن ملحوظ فى السلوك فى كثير من الحالات ولو أنه لم يفلح فى حل جميع المشكلات .

تفاعل الغدد والشخصية : كما تؤثر الغدد الصم فى بناء الشخصية ونشأة بعض السمات ، كذلك تؤثر الشخصية فى وظائف هذه الغدد تأثيراً قد يكون دائماً مزمناً . فقد اتضح أن التوتر الانفعالى الموصول يؤدى إلى تضخم الغدة الدرقية وزيادة افرازها ، وإن الاكتئاب النفسى الموصول يؤدى إلى فتور نشاط هذه الغدة وقلة إفرازها . وهكذا يتجلى لنا مرة أخرى ما سبق أن أكدناه من أن الإنسان وحدة جسمية نفسية إن اضطرب جانب منها اضطربت له الجوانب الأخرى .

هذه فتاة مصابة بتضخم فى الغدة الدرقية ذهبت إلى جراح فوجد أن نبضها من السرعة بما لا يسمح باجراء عملية جراحية ، فبعث بها إلى طبيب نفسى ليخلصها مما تكابده من قلق وخوف . وبعد ثلاثة أشهر أعادها الطبيب النفسى إلى الجراح متحررة من خوفها وقد شفيت كذلك من تضخم الغدة فلم تعد بها حاجة إلى عملية جراحية .

ولنذكر أن تأثير الغدد فى الشخصية تأثير غير مباشر فى أغلب الأحيان . فنقص هرمون نخامى خاص قد يؤدى إلى القزامة . والملاحظ أن القزم عدوانى مغرور محب للظهور . لكنه من الخطأ أن نقول إن نقص الهرمون هو السبب المباشر لعدوان القزم . فالعدوان نتيجة تأثير البيئة فى شخصية القزم . ولو أنه نشأ فى بيئة أخرى لا تسخر منه لاختلف خلقه فى أكبر الظن .

ولنحذر أخيراً من أن ننسب كل تغير يطرأ على الشخصية إلى تغير أو اضطراب هرمونى . فمع أن تفريط الدرقية يميل إلى إحداث البلادة والخمول ، وأن إفراطها يميل إلى زيادة النشاط ألا أننا يجب ألا نتسرع فى الحكم بأن كل شخص أصابه الخمول مصاب بقصور فى الدرقية ،

أو أن كل شخص أصبح «عصبياً» قد زاد إفرازها لديه . كذلك الحال إن وجدنا شخصاً أصيب بضعف جنسى أو غلمه جنسية فيجب ألا نسارع باتهام غدده التناسلية ، إذ قد يرجع السبب إلى اضطراب غدد أخرى أو إلى عوامل نفسية واجتماعية .

إن السلوك يكون دائماً محصلة تفاعل بين عوامل شخصية (جسمية ونفسية) وعوامل اجتماعية ، فنشاط الغدة الدرقية مثلا تحدده الوراثة وعوامل انفعالية (اجتماعية) غير أنه فى حالة الطفل المصاب بالقصاع (ص٤٢٢) الذى يولد لأبوين مصابين باضطرابات درقية تتحدد الشخصية والسلوك بعوامل عضوية وتكاد العوامل الاجتماعية تخفى من هذه الصورة .

٦ ــ أثر العوامل الجغرافية فى الشخصية

يتغاضى كثير من الباحثين عن أثر هذه العوامل فى تشكيل الشخصية مع مالها من أثر فى تنمية بعض السمات وابرازها أو تعطيل سمات أخرى وعوقها عن الظهور . فمن المشاهد المعروف أن أسلوب حياة الجماعة بأسرها يتأثر لأنها تعيش فى الصحراء أو بين الجبال أو فى جزيرة أو منطقة معتدلة المناخ ، أو لأنها تعيش فى أرض قاحلة تضطرها إلى الكدح الموصول ، أوفى واد خصب وفير الخيرات .هذه العوامل المختلفة ذات أثر فى شخصية الجماعة بأسرها ، أى فى شخصيات الأفراد التى تتكون منهم هذه الجماعة .

خذ على سبيل المثال «الاسكيمو» سكان شبه جزيرة جرينلاند. هؤلاء قوم يعيشون فى ظروف جغرافية قاسية عنيفة بحيث لا يقوى على العيش فيها إلا الأقوياء أما الضعيف أو المريض أو العاجز عن كسب قوته فمصيره الهلاك أو الانتحار أو أن يقتله ذووه . كما قضت عليهم هذه الظروف الجغرافية أن يكون نظامهم الاجتماعى فردياً إلى حد كبير . قضت عليهم أن يصنع كل واحد منهم أدواته وأسلحته بنفسه ، وأن يخرج إلى الصيد ليصطاد لنفسه . وحتى إن خرجوا إلى الصيد معاً فى عرض البحر ،

خرج كل بزورقه الخاص ، فإن انقلب الزورق كان عليه أن ينجو بنفسه دون معونة من غيره . أما الأسرة فوحدة اقتصادية تكفى نفسها بنفسها، وحتى إن عاشت عدة أسر فى بيت واحد أثناء الشتاء فكل امرأة تطهو طعام أسرتها فى قدرها الخاص وعلى موقدها الخاص . ذلك أن الطهو الجماعى متعذر أو مستحيل لأنه يستنفد وقتاً أطول لإعداده على مواقد من الدهن ، كما أنه من العسير نقل الموقد الكبير من منازل الشتاء إلى منازل الصيف ، وبعبارة أخرى فالتكيف الفردى فى هذه البيئة أيسر من التكيف الجماعى . لذا كانت أظهر السمات فى شخصية «الاسكيمو» التحدى والاعتماد على النفس والمبادأة و «الأنا» القوى القادر على الاحتمال والمقاومة .

وهذه قبيلة «أرابش Arapesh فى غينيا الجديدة ، تعيش فى منطقة جبلية تكفل لهم الأمن من الغزو ، وتمدهم بما يكفيهم من الطعام . أى أنهم فى أمان من الخطر الخارجى ومن المجاعات . لذا لم يتكون لديهم نظام اجتماعى قوى ، وأصبح القوم يتسمون بالوداعة والمسالمة وروح الصداقة ، بل يمقتون التنافس والتفاخر والخشونة ، وينبذون الشخص الغيور الطموح الذى يتطلع إلى التنافس .

٧ – أثر العوامل الاجتماعية

أثر ثقافة المجتمع :

للمجتمع والثقافة المميزه له eulture(١) صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنهم

---

(١) ثقافة المجتمع وحدة متكاملة من المعلومات والأفكار والمعتقدات والمواضعات الاجتماعية وطرق التفكير والتعبير والترويح ، وطرق كسب الرزق وتربية الأطفال والصنائع اليدوية وغيرها من الظواهر السائدة بين أفراد المجتمع والتى تنتقل من جيل إلى جيل ، ويكتسبها الأفراد عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعى لا عن طريق الوراثة البيولوجية ولكل ثقافة جانبان : جانب مادى هو ماينتجه عقل الجماعة من أشياء ملموسة كهندسة البناء ونماذج اللباس ومواد الطعام ، وجانب لا مادى يتألف من المعارف والمعتقدات والقيم والفنون والطبائع القومية والنظرة إلى الكون .. وتضم الثقافة الاساسية فى المجتمعات المعقدة ثقافات فرعية خاصة بالطبقات المختلفة أو الجمعيات أو الأقليات التى يحتويها المجتمع الكبير .

من أفراد . فلو كنا نشأنا فى صقيع الاسكيمو أو فى الجزر المتناثرة فى المحيط لكانت لنا عادات وتقاليد ومثل تختلف فى الكثير عما نحن عليه ، بل ولا اختلفت نظرتنا إلى الكون ومكانتنا فيه اختلافا كبيرا . بل ان ثقافة المجتمع تؤثر فى طرق تفكيرنا وتعبيرنا عن انفعالاتنا وارضائنا لدوافعنا وفيما نتعلمه من معايير المباح والمحظور ، والعدل والظلم ، والحق والباطل . وكذلك فيما نكسبه من معلومات ومهارات وعواطف وأذواق . كل أولئك يحدده نوع الثقافة الى حد كبير : أهى ثقافة ديمقراطية أم غير ديمقراطية ، تعاونية أم تزاحمية ، مادية أم روحية ، مسالمة أم عدوانية ، مستنيرة أم غير مستنيرة . يضاف الى هذا أن الثقافة هى التى تعين الأساليب والطرق التى يتبعها الوالدان فى تنشئة الأطفال : هل تقوم هذه التنشئة على التسامح أم التشدد ، على التزمت أو التراخى ، هل تسير على نمط سريع فتفرض على الطفل تكاليف الرجولة من عهد مبكر أم تسير على وتيرة تدريجية متئدة ، هل يقوم الوالدان بتربية الطفل أم بدائل عنها ؟ فثقافة المجتمع تعيش فينا كما نعيش فيها ، أو أننا مرآة تنعكس عليها صورة هذه الثقافة ، حتى قيل إن الشخصية هى المظهر الذاتى للثقافة . وهذا حق لكنه ليس كل الحق ، لأن الشخصية تتأثر بعوامل أخرى غير الثقافة هى العوامل الوراثية .

أثر الثقافات الفرعية :

غير أن هذا لا يعنى أن أفراد المجتمع الواحد تتشابه شخصياتهم كما تتشابه نسخ الكتاب المطبوع . فحتى لو نشأنا فى رحم ثقافى واحد أو متقارب الظلال كجمهورية مصر مثلا ، لا ختلفت شخصياتنا فى نواح هامة منها اختلافا قد يكون كبيرا : هل نشأنا فى الواحات أو على الساحل أو على ضفاف النيل ، فى الريف أم فى الحضر ، فى منزل أو فى ملجأ ، فى اسرة فقيرة أم متيسرة ، محافظة أم مجددة ، مثقفة أو غير مثقفة ، متدينة أو غير متدينة ، متماسكة أو مهلهة ، حانية أو جافية ، مكتظة أو محدودة العدد ؟ وهل التحقنا بمدارس قديمة أو حديثة ؟ وهل كان لنا أصدقاء ورفاق لعب

كثيرون . وما نوع هؤلاء وأخلاقهم ؟ وهل كنا ننخرط فى أندية وجمعيات أم كنا نؤثر العزلة والاعتكاف . وما الدور الاجتماعى والمهنى الذى نؤديه ؟ .

الثقافة والوراثة :

اتضح أن كثيرا من الظواهر وضروب السلوك التى كنا نظنها ترجع الى عوامل بيولوجية موروثة هى فى الواقع نتيجة عوامل ثقافية أو متأثرة بها الى حد بعيد . فقد كنا نظن أن المرأة بطبعها مخلوق طيع سلبى عيل مستسلم مذعن وأن الرجل بطبعه مخلوق مسيطر ناشط عدوانى غير أن الأنثربولوجيين وجدوا ثقافات تتسم شخصيات الرجال فيها بالسمات التى نسميها أنثوية وتتسم شخصيات النساء بالسمات التى نسميها «ذكرية» بل انهن فوق ذلك يقمن بأدوار اجتماعية ومهنية يحتكرها الرجل فى الثقافة الغربية . فقد وجدت «مرغريت ميد» أن المثل الأعلى للرجل فى قبيلة «أرابش » فى غينيا الجديدة هو الرجل الوديع الرقيق الطيع المسالم السلبى ، كذلك حال المرأة ، بحيث يمكن القول بعدم وجود فوارق بين الجنسين فى هذه القبيلة ، أو أن كلا الجنسين ذو طبع انثوى لين . أما المثل الأعلى للرجل فى قبيلة تجاورها لكن تختلف عنها فى الثقافة — هى قبيلة «موندوجومر» فهو الرجل الخشن الغليظ العدوانى المقاتل المنتقم . وكذلك المرأة . فهى تقوم بكل أعمال الرجل ولها مثل صفاته . أما فى قبيلة «تشامبولى» التى تجاور هاتين القبيلتين فينقلب دور الرجل والمرأة فيها عما هو معهود فى الثقافة الغربية . فالمرأة هى العنصر المسيطر الغالب المتصرف فى كل الأمور ، فهى تقوم بصيد السمك ونسج الشباك وغيرهما من الأعمال الشاقة . أما الرجل فيتعهد شئون الأطفال وينصرف الى الاهتمام بالرقص والحفر والنقش وغيرها مما لا تهتم به المرأة هناك ، ومع أن النظام الاجتماعى فى هذه القبيلة أبوى — أى الحكم فيه للأب — ويبيح تعدد الزوجات وهذا من شأنه الغض من شأن المرأة — إلا أن النساء هن أصحاب الأمر والنهى بالفعل (١).

---

(١) ومع هذا كله فيجب أن نذكر أن النساء بوجه عام أصغر حجماً وأخف وزناً من الرجال . وأنهن مهيئات بالفطرة لوظائف الحمل والولادة . ولهذا أثر ملحوظ فى شخصياتهن بصرف النظر عن الثقافة التى ينتمين إليها .

وكان كثير من علماء النفس يرون أن مرحلة المراهقة فى كل زمان ومكان مرحلة أزمات نفسية وصراعات ترجع الى ما يعترى المراهق من تغيرات بيولوجية عنيفة ، دون اعتبار لثقافة المجتمع الذى ينتمى اليه المراهق ، حتى دلت البحوث الأنثربولوجية الحديثة على أن المراهقة فى كثير من الشعوب البدائية ليست مرحلة تأزم حرجة بل مرحلة هينة تخلو من الصراعات ومن الأمراض النفسية والجناح ومن التمرد على الكبار . ويرجع هذا الى أنهم يسمحون للفرد من سن البلوغ بالاضطلاع باعباء الكبار وواجباتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتمتع بامتيازاتهم من زواج واشتراك فى الصيد والحفلات فكأن المراهقة المتأزمة من سمات المجتمعات المتحضرة وحدها . وهى نتيجة معاملتنا اياه . فالمراهق ناضج من الناحية الفسيولوجية ، لكنا نعتبره طفلا من الناحيتين الاجتماعية والاقتصاديةفنقيدنشاطهالجنسى ورغبتهفى الاستقلال وتحمل التبعات . فمن الطبيعى أن يستجيب كثير من المراهقين لذلك بالتمرد والعدوان أو الانسحاب أو الانحراف .

٨ — أثر الأسرة فى الطفولة المبكرة

كانت الأسرة ولا تزال أقوى سلاح يستخدمه المجتمع فى عملية التطبيع الاجتماعى ونقل التراث الاجتماعى من جيل إلى جيل . وقد أجمعت خبرات الناس ودلت تجارب العلماء على ما للتربية فى الأسرة من أثر عميق خطير يتضاءل دونه أثر أية منظمة اجتماعية أخرى فى تعيين الشخصيات وتشكيلها خاصة خلال مرحلة الطفولة المبكرة ، أى السنوات الخمس أو الست الأولى من حياة الفرد ، وذلك لأسباب عدة منها أن الطفل فى هذه المرحلة لا يكون خاضعا لتأثير جماعة أخرى غير أسرته ، ولأنه يكون فيها سهل التأثر ، سهل التشكل ، شديد القابلية للايحاء وللتعلم ، قليل الخبرة ، عاجزا ضعيف الارادة قليل الحيلة ، فى حاجة دائمة إلى من يعوله ويرعى حاجاته العضوية والنفسية المختلفة ، ولأن عملية التطبيع فيها تكون مركزة عنيفة . إذا عرفنا هذا قدرنا ما يمكن أن يكون لهذه المرحلة من أثر بالغ فى تشكيل شخصيته وتوجيهها إلى الخير أو إلى الشر ، إلى الصحة أو المرض . فكما أن الأسابيع الاولى من

حياة الجنين فترة حاسمة فى تكوينة الجسمى ان اضطرب النمو فيها خرج الوليد مسخاً ، وكما أن الوليد إن لم يزود بالغذاء الكافى فى الأسابيع الثلاثة الأولى بعد ولادته شب ناقص النمو الجسمى والعقلى حتى إن زودناه طول العمر بكافة المواد الغذائية ، كذلك السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة خطيرة فى تكوين شخصيته . وتتلخص خطورتها فى أن ما يغرس فى أثنائها من عادات واتجاهات وعواطف ومعتقدات يصعب أو يستعصى تغييره أو استئصاله فيما بعد . ومن ثم يبقى أثره ملازما للفرد فى عهد الكبر . هذه واقعة كشفت عنها وأيدتها الدراسات الكلينيكية والتحليل النفسى للكبار والصغار ، وكذلك الدراسات الانثروبولوجية لطرق تنشئة الأطفال فى كثير من الشعوب البدائية والمتحضرة .

ويتوقف أثر الأسرة فى عملية التطبيع الاجتماعى على عدة عوامل منها وضعها الاجتماعى والاقتصادى ، ومستواها الثقافى ، وحجمها ، وتماسكها واستقرارها ، وجوها العاطفى الذى يتجلى فى معاملة الوالدين للطفل ، ومعاملة أحدهما للآخر ، وما يقوم بين الأخوة من تنافس .

الدراسات الكلينيكية :

تعلمنا الدراسات الكلينيكية ، وكثير منها دراسات تتبعية ، أن البيوت التى يغشاها الود والتفاهم القائمان على الثقة والاحترام والمحبة والتقدير والتى تحتفظ بتوازن جميل بين القيد والحرية هى البيوت التى يتخرج فيها الاصحاء الاسوياء من الراشدين ، وأن البيوت التى تبث فى نفوس الأطفال عواطف النقمة والحنق القائمة على الرعب والغيظ فهى التى تخرج للحياة قوافل المنحرفين والمشكلين والعصابيين والجانحين . فمن حرم من الامن والعطف فى طفولته رفض أن يتقبل الحب فى كبره ممن يريدون أن يمنحوه الحب أو أخذ يختطفه بكل طريقة وبأى ثمن . ومن دلله أبواه فى عهد الطفولة انتظر من زملائه ورؤسائه أن يدللوه وهو كبير . ومن شب على جهل بحل مشكلاته الصغيرة عز عليه حل مشكلاته الكبرى فيما بعد . ومن شب على قسوة اتخذ من المجتمع

فى كبره موقفا عدائيا قد يدفعه إلى الجريمة . وقد لوحظ ان الاطفال الذين لم يتعلموا العيش فى وفاق وانسجام مع إخوتهم وأخواتهم يجدون صعوبة فى التوافق مع الغير فى عهدى المراهقة والرشد . كما لوحظ ان الاطفال الذين يخضعون خضوعا شديداً لآبائهم يمتثلون ويستكينون للنظم الاستبداديـة والتسلطية فى عهد الكبر .ومن بحث تتبعى أجرى فى أحدمعاهد أمريكا اتضح أن الطلبة فى الجامعة وبعد تخرجهم فيها ممن «ينسحبون» من المواقف المثيرة للقلق كانوا يصطنعون هذا النمط السلوكى وهم اطفال (حتى من العاشرة)، وأن الذين «يهاجمون» مصادر القلق والصعوبات نشأت لديهم هذه العادة وهم اطفال ،وقد أشرنا من قبل إلى ما أسفرت عنه كشوف مدرسة التحليل النفسى من ان اتجاهاتنا نحو الناس وصلاتنا العاطفية بهم ، اتجاهات وصلات تعلمناها فى محيط الاسرة على غرار صلاتنا بأمهاتنا وآبائنا واخوتنا : اتجاهاتنا نحو الرؤساء والمرءوسين والاصدقاء والزملاء والزوجة والأولاد والغرباء . ففى الطفولة توضع بذور الصداقات والعداوات المقبلة .

ومن أهم العوامل الأسرية التى تؤثر فى تشكيل شخصية الطفل : (١) العلاقة بين الوالدين (٢) العلاقة بين الوالدين والطفل (٢) العلاقة بين الاخوة والاخوات .. وستناولها بالشرح فى مكانها مما يلى من صفحات هذا الكتاب

ومن أهم الكشوف التى قدمها «فرويد» لعلم نفس الشواذ الحديث هو أثر الماضى المبكر من حياة الفرد فى حاضره ، هو أثر الصدمات الانفعالية إبان مرحلتى الرضاعة والطفولة المبكرة فى التمهيد لاضطراب الشخصية فى عهد الكبر ، وما أكثر هذه الصدمات :

صدمات الطفولة :

١ — صدمات تتصل بعملية الإرضاع — الرضاع العسر أو الشحيح أو غير المنتظم أو المقترن بانفعال الام وسخطها . إذ الواقع أن عملية الارضاع ليست مجرد اشباع لحاجة فسيولوجية هى الحاجة الى الطعام ، بل هى موقف اجتماعى يتألف من الرضيع وأمه، وفيه يتأثر الرضيع بحالة أمه النفسية أثناء

الارضاع ومزاجها ، كما يتأثر بالعادات الاجتماعية المتوارثة لكيفية الارضاع

٢ — وصدمات تنشأ من التعجل أو التعسف والقسوة فى تعليمه ضبط مثانته وأمعائه فى مواعيد معينة ، هذه قد تعرضه للامساك المزمن اكثر من غيره فيما بعد ، أو تعرضه للاسراف فى مراعاة النظافة والنظام والمواظبة . وترى مدرسة التحليل النفسى أن هذه القسوة تسبب للطفل قلقاً شديداً وتخلق فى نفسه مشاعر عدوانية نحو والديه ، وتمهد الطريق لاصابته بالعصاب الوسواسى فى مستقبل حياته .

٣ — وأخرى تنشأ من الفطام المفاجئ غير المقترن بالعطف . فالفطام أزمة فى حياة الطفل لانه ليس مجرد ابدال طعام بآخر ، بل يعنى انفصاله عن شخص يزوده بالعطف والغذاء فى آن واحد . إن الفطام المفاجى العنيف هو أول خبرة مريرة تشعر الطفل بأنه فقد شيئاً عزيزاً عليه ، شيئاً هاماً ينتمى إليه ، وهذه صدمة يحفها الألم والخوف والعذاب إلى حد بعيد . ومن بعض الدراسات التى أجريت فى مجتمعات مختلفة وجد أن المجتمعات التى يتم فيها فطام الطفل فى عنف وقسوة يكثر فيها بين الكبار ما يسمى (القلق الفمى) وهو أن يكثر الناس من تفسير ما يصابون به من أمراض الى أنهم أكلوا أو شربوا شيئاً كان السبب فى مرضهم .

٤ — وصدمات تنشأ بعد ذلك من علاقة الطفل بوالديه واخوته وأخواته فالابوان أو من يقوم مقامها يعملان منذ عهد مبكر على ترويض الطفل وفطامه من الاشباع الانانى لدوافعه الفطرية ، وذلك بمقاومتها ، وقد يسرفان فى الكبح. وكل احباط لدافع أساسى يكون بمثابة صدمة انفعالية . هذا بالاضافة إلى ما يقوم بينه وبين اخوته وأخواته من غيرة وصراع وتزاحم على الاستحواذ بمحبة الوالدين .. وقد ينشأ الطفل الصغير فى مؤسسة خاصة بعيدا عن رعاية الأم ، أو تتغيب الأم لانشغالها بعملها أو يتكرر انفصالها عنه . وكل أولئك من قبيل الصدمات التى يكون لها أثر سئ فى شخصيته ، مما يؤدى إلى ظهور مشكلات سلوكية مختلفه لديه فى عهد الصغر ، كالمخاوف

الشاذة واضطراب النوم والتبول اللاارادى ونوبات الغضب – وبما يمهد الطريق لاضطرابات أشد خطورة فى شخصيته حين يكبر .

ولنذكر دائماً أن صدمات الطفولة أشد وطأة من صدمات الكبر لأن الطفل لم يتعلم بعد الوسائل التى يمتص بها الصدمات ولأنه يفتقر الى البصيرة الاجتماعية التى تمكنه من فهم تصرفات الكبار أو ادراك معنى سلوكه .

لقد دلت تواريخ حياة من خرجوا من الحرب منهارين أى مصابين بأمراض نفسية أو عقلية أن المشاكل السلوكية فى طفولتهم كانت ثلاثة أمثالها عند من خرجوا من الحرب سالمين. كما ظهر من بحث «بولبى» Bowlby الطبيب النفسى ومدير احدى العيادات النفسية بلندن ان الاطفال الذين كانوا يجلون عن المدن الكبرى ابان الحرب العالمية الثانية – لحمايتهم من القصف الجوى – فيحرمون من رعاية أمهاتهم ويوكل أمرهم إلى أفراد يعاملونهم «بالجملة» لا فرادى ، نقول ان هؤلاء الاطفال بدت على وجوههم مشاعر الوحشة والعزلة والاغتراب ، وكانوا يعجزون عن عقد صداقات مع غيرهم من الاطفال أو الكبار ، وعن تقبل الحب أو تبادله مع غيرهم من الناس ، كما بدت لديهم نزعات عدوانية واجرامية صريحة نحو المجتمع فى سن الشباب ، وكانوا أعصى على العلاج والتقويم من غيرهم من الشباب المشكلين والجانحين لأن عجزهم عن تكوين علاقات مع الغير يجعل علاجهم النفسى محالا. وقد دل هذا البحث أيضا على أن نوع ومدى الضرر الذى يحيق بشخصية الطفل يتناسب تناسبا عكسيا مع سنه ، فيكون هذا الضرر فى ذروته لدى الرضعاء ممن تتراوح أعمارهم بين ثلاثة أشهر وستة . ثم يقل بعد ذلك بالتدريج حتى حوالى سن السابعة . وهذا يدعونا إلى التساؤل والاختيار بين عمل الام خارج المنزل وبين الصحة النفسية للطفل !

ونشير أخيرا إلى بحث «بيرت» Burt الذى درس الاحداث الجانحين دراسة نفسية اجتماعية مستفيضة ، اذ يقول : «ان أشيع العوامل فى جناح الاحداث وأكثرها خطرا وتدميرا هى العوامل التى تدور حول حياة الاسرة

فى الطفولة » . وهو يعنى بذلك أن البيوت المحطمه أى التى حطمها الطلاق أو الشقاق أو موت أحد الوالدين أو كليهما وكذلك البيوت الآثمة التى تشيع فيها الرذيلة والخمر والجريمة ، ثم التأديب الابوى المعيب الذى يصطنع العقاب الصارم أو التراخى الشديد أو التقلب بين الشدة والضعف .. كل تلك تشكل أخطر العوامل فى جناح الأحداث . .

مما تقدم يتضح لنا أن دراسة الطفولة تساعد على فهم سلوك الراشدين فهماً أكثر دقة خاصة من ساء توافقهم الشخصى والاجتماعى .

الدراسات الانثربولوجية :

تؤيد هذه الدراسات وجود علاقة وثيقة بين طرق تنشئة الاطفال الصغار فى الشعوب البدائية وغيرها وبين شخصيات الكبار فى هذه الشعوب . من ذلك أن القوم فى قبيلة «أرابش» السالفة الذكر (ص ٥١٥) تتسم شخصياتهم بالدعة والهدوء والمسالمة والتعاون والصداقة ، ينفرون من التنافس والسيطرة ، ويمقتون الصلف والغرور والعدوان مقتا شديدا وقد لوحظ أن الطفل الصغير فى هذه القبيلة يكون موضع مودة وعطف بالغ : ترضعه أمه كلما صاح ، وتطيل مدة رضاعته ، وتحمله أينما ذهبت وتداعبه على الدوام . والطفل فى هذه القبيلة لا يعاقب البتة ، ويوحى اليه من سن مبكرة أن كل شئ فى الدنيا طيب خير — البيت والعم والجار والناس .. ولنقارن هذا بما يحدث فى قبيلة «موندو جومر» المجاورة لهذه القبيلة والتى يتسم أهلها بالعدوان المفرط والارتياب المتبادل . الرجل المثالى فيها هو الرجل الخشن الغليظ ، العدوانى المقاتل . وكذلك المرأة . لقد وجد أن الطفل فى هذه القبيلة يولد وينشأ فى جو عنيف غير آمن . فمتى حملت الزوجة كف الزوج عن الاتصال بها مما يثير غضبه فلا يرحب بقدوم الطفل . والرضاعة مؤلمة اذ يوضع الطفل فى سلة خشنة ولا يقدم له الثدى إلا اذا كان فى حاجة ظاهرة اليه ، ولفترة قصيرة . ولكى يظفر بقدر كاف من اللبن فى هذا الوقت القصير والوضع المؤلم يجب عليه أن يرضع فى قوة رضعا سريعا عنيفا وإلا ضاع حظه من الرضاع .

وكثيرا ما يشرق الطفل فتثور الأم . فعملية الرضاع توتر وصراع وغضب وليست عملية الفطام أقل قسوة وغلظة ، اذ يزاح الطفل عن أمه فى عنف قد يقترن بالضرب واللكم والشتم .. على هذا النحو يشعر الطفل منذ أول حياته بأنه فى عالم عدائى ، وهو شعور تعززه خبرات تالية فى تربيته على الدوام . وهذا ينطبق على البنين والبنات جميعا،ومن ثم تنشأ البنات فى خشونة البنين وعدوانهم .

وفى قبائل «الدوبان» Doubans بميلانيزيا يلاحظ أن شخصيات الكبار الراشدين تتسم بطابع العدوان المجنون والارتياب الشديد . وقد اتضح أن هذا وثيق الصلة بما يشعر به الطفل من عداوة وارتياب نتيجة لتغيب أمه عنه فترة طويلة من الزمن لظروف إقتصادية ، يقوم فيها إخوته بالأشراف عليه إشرافا صارما قاسياً .

وفى المجتمعات المتحضرة الحديثة اتضح أن موقف الكبار المتزمت الصارم من الأمور الجنسية نتيجة طبيعية لما نشئوا عليه أنفسهم من تطبيع صارم فيما يتصل بتعلم ضبط المثانة والأمعاء ، وكذلك للحظر الشديد على التعبيرات الجنسية عندهم فى عهد الطفولة . فنحن ننكر على الغير ما ننكره على أنفسنا عن طريق عملية (الاسقاط)

٩ ــ مركز الطفل فى الأسرة

يشغل كل طفل فى أسرته مركزا فذا ــ مركزا قد يجعله الاثير المفضل أو الطفيلى الدخيل ، وقد يجعله يظفر بكثير من الامتيازات أو بعضها ، أو يجعله عبئا ، أو يجعله شراً لا بد منه . فهناك الطفل الأول ، والطفل الوحيد ، والاوسط . ، والاصغر ، وهناك الذكر بعد عدة إناث ، والأنثى بعد عدة ذكور ، والطفل الذى يولد بعد عدة وفيات ، من إخوته وأخواته ، أو بعد فترة طويلة من عدم الإنجاب . فهل لهذه العوامل آثار ذات بال فى شخصية الطفل إذا تساوت العوامل والظروف الأخرى ؟ .

لقد لوحظ أن **الطفل الأكبر** أكثر وروداً على العيادات النفسية من سائر إخوته وأخواته . وربما كان مرجع هذا :

(١) قلة خبرة الوالدين بتربية الأطفال ، أو (٢) تلهفهما عليه وحمايته أكثر مما يجب أو (٣) أنهما حديثا عهد بالزواج ولم يستعدا بعد استعداداً كافياً لهذا التغير الطارىء على نظام الأسرة ، فإذا بهما لا يرحبان به ، أو (٤) أن بقاء الطفل وحيداً عدة سنوات يحرمه من فوائد الزمالة والتنافس والأخذ والعطاء مع أطفال يقاربونه فى السن ، أو (٥) مايحس به الطفل الأكبر من مرارة الغيرة حين ترزق الأسرة بمولود ثان يغتصب منه ماكان ينعم به من عطف ورعاية ، وقد وجد أن الطفل الأكبر ، فى رياض الأطفال ، تعوزه الثقة بالنفس ، وأنه يميل إلى المحافظة والتشبث بامتيازاته كما أنه لا يميل إلى التزعم والتحدى ويرى «أدلر» Adler وهو أول من أكد الأثر الكبير لمركز الطفل فى تكوين شخصيته .. يرى أن الطفل الأول يتخذ فى حياته أسلوباً يجعل منه شاباً لا صديق له . فإن اتخذ لنفسه صاحباً ظن دائماً أن صاحبه يفضل غيره عليه . كما أنه يكون دائم الارتياب فى الناس وينقب عن الأشياء التافهة التى تحول بينه أن يكون له صديق وفى .

ومن بحث أمريكى أن الطفل الأول إن كان فى الثالثة من عمره حين يولد أخ جديد فهو معرض أن يحتويه القلق خوفاً من فقدانه حب والديه . فإن كان عمره عاماً واحداً لم يعتبر الضيف الجديد تهديداً كبيراً أو منافساً فى حب أمه لأن صورة الطفل الأول لذاته لا تكون قد اتضحت وتبلورت بعد . فإن بلغ الأول السابعة أو الثامنة من عمره عند ميلاد الطفل الجديد كان أكثر استقلالا عن والديه ، وأقل تعرضاً لتهديد المولود الجديد .

أما **الطفل الثانى** فتتكون لديه أنماط سلوكية تنافسية وعدوانية أظهر بكثير من أخيه الاكبر

أما **الطفل الوحيد** فتتأثر شخصيته إلى حد كبير بالظروف والعوامل التى حدت بالوالدين إلى قصر النسل على طفل واحد :

١ — فقد يعتقد الولدان أن السن تقدمت بهما بما لا يأذن لهما بأكثر من طفل واحد خشية أن يوافيهما الأجل قبل أن يستوى النسل الحديد ويصبح قادراً على إعالة نفسه وحمايتها . وأمثال هذين الوالدين يكونان فى أكبر الظن من الصنف المتلهف أو المسرف فى تسامحه أو المتراخى فى تربيته .

٢ — فإن كان الطفل الوحيد الطفل الباقى بعد موت أخ أو أخت اتسم موقف الوالدين منه بالقلق الزائد .

٣ — أو يعتقد الوالدان أنهما لا يستطيعان أن يربيا أكثر من طفل واحد على النحو الذى يرتضيانه ، ومن المرجح أن يكونا إذن من النوع المدقق المتزمت الذى يحاول صب الطفل فى قالب معين .

٤ — فإن كان السبب نظرة الوالدين المتشائمة إلى الحياه ، تأثرت شخصية الطفل بهذه النظرة .

٥ — أو يكون السبب شقاقاً بينهما ، وهنا يكابد الطفل الآثار السيئة للبيت المحطم .

يضاف إلى هذا أن الطفل الوحيد يجد نفسه على الدوام بين كبار يعجز عن التعامل والأخذ والعطاء معهم ، بل إنه من أجل هذا معرض لاصطناع أساليب غريبة لاسترعاء أنظارهم . وقد لوحظ أنه لا يكون فى العادة محبوباً من اترابه لأنه لم يألف التعامل مع أطفال من نفس سنه ، وقد تدفعه رغبته فى التزامل إلى اتخاذ «رفيق وهمى» يختار له اسماً معيناً ، ويحدثك عن أعماله ومغامراته ومحاسنه وعيوبه ورغباته ، كأنه رفيق واقعى . ومن المشاكل الشائعة بين الطفل الوحيد : العناد والانطواء والحساسية المرهفة وفرط الاعتماد على والديه .

والطفل الأخير ، قد يكون عرضه للتدليل الزائد أو للتراخى فى المعاملة أو الاهمال لأنه قد يولد يوم لا يعود الأطفال فى نظر الأسرة شيئاً طريفاً أو مستحباً ، فإذا به فى عين الأب فم جديد ، ومصدر إزعاج جديد ، وفى نظر الأم حمل لا مفر منه ، وفى نظر الأخوة هدف جديد للمشاكسة والاضطهاد ، مما يفقده الشعور بالأمن أو يبث فى نفسه

الشعور بالنقص حين يقارن نفسه باخوته الكبار وما يحظون به من قوة أو امتيازات .

وقد قام فريق من علماء النفس الكلينيكى بدراسة وافية لمعرفة ما يترتب على مركز الطفل فى الأسرة من آثار فى شخصيته ، فوجدوا :

١ ــ أن مركز الطفل ليس إلا عاملا من عوامل أخرى أكثر أهمية تؤثر فى شخصيته ، فإن شعر الطفل بالحب والتقبل من والديه فسواء كان الأكبر أو الأصغر فهذا لا أثر له فى شخصيته .

٢ ــ وأن مركز الطفل قد يكون ميزة له ، أو كارثة عليه ، أو لا أهمية له والأمر كله مرهون بموقف الوالدين منه ، والجو الذى يسود الأسرة . فقد يفضل الوالدان طفلا لذكائه أو وسامته أو تفوقه الدراسى أو لباقته الاجتماعية .. وقد يتهمان طفلا بأنه نذير شؤم لأن حدثاً حدث للأسرة عقب ميلاده فيتنكرون له كلما مسهم سوء . فيرى الطفل نفسه منبوذاً فى الأسرة . وقد تصل به الحال ــ إن آمن بفكرة والديه عنه ــ إلى أن يتهم نفسه لغير ماذنب أتاه ، أو إلى أن ينطوى على نفسه ويعتزل الناس ، أو يظل طول حياته خائفاً يترقب .

٣ ــ ليس هناك ارتباط ثابت بين مركز الطفل وسمات شخصيته وهوراشد .

١٠ ــ المدرسة الابتدائية والتطبيع الاجتماعى

انتقال الطفل من البيت إلى المدرسة بعد الطفولة المبكرة حدث حرج خالد فى حياته . فهو انتقال من مجتمع بسيط منطو على نفسه إلى مجتمع أوسع وأكثر اتصالا بالحياة . فالمدرسة بيئة جديدة ، ذات نظم وقوانين جديدة ، وبها من التكاليف والواجبات مالم يعهده الطفل من قبل ، وفيها أخذ وعطاء من نوع جديد ، فيها صلات جديدة ، ومنافسات جديدة ، ومغامرات جديدة ، وفيها يضطر الطفل إلى

التضحية بكثير من الميزات التى كان يتمتع بها فى البيت ، فبينما كان فى البيت يحتل مركزاً فريداً خاصاً إذا به أصبح فى المدرسة مجرد طفل بين عدد كبير من الأطفال يعاملونه على حد سواء ، حتى المعلم ، وهو الراشد المهم فى حياته اليوم ، لا يعده أكثر من ولد أو بنت صغيرة بعد أن كان يرى نفسه فى البيت «مركز الكون» كله ، لأن كل من بالبيت يسارع إلى تلبية حاجاته .

هذا التغير العنيف فى بيئة الطفل له أثر كبير فى شخصيته وخلقه وسلوكه الاجتماعى . ذلك أن عادات التصرف الاجتماعى التى ألفها فى البيت لا تعود تكفى لسلوكه فى المدرسة . فالمواقف الجديدة تفرض على الإنسان واجبات جديدة وفى المدرسة يضطر الطفل لأول مرة أن يخضع لنظام يفرضه عليه غير والديه ، فلا يعود الوالدان المصدر الوحيد للسلطة والنفوذ . وفيها يتعين عليه أن يراعى النظام وأن يلزم التأدب وألا يهزأ من أخطاء غيره وأن يلتفت إلى من يحدثه وألا يقاطع غيره أثناء عمله أو لعبه وأن يلزم الصمت فى أوقات معينة وألا يغضب إن اقتضت مصلحة الجماعة ألا يأخذ أكثر من نصيبه . والتعاون فى المدرسة يعنى احترام قوانينها والمشاركة فى الأشغال والألعاب ، كما يعنى المحافظة على المواعيد وعلى نظافة المدرسة وأثاثها . وعلى هذا فالطفل المدلل أو «الدكتاتور» أو الطفل الذى يلقى من العناية أكثر مما يجب قد يفيدون كثيراً من هذه البيئة الجديدة التى تحملهم بعض التبعات وتعصمهم ولو إلى حين من جو البيت . وقل مثل ذلك فى الطفل الوحيد أو الطفل البليد ، هذا فضلا عن أن المدرسة الابتدائية فى سنواتها الأخيرة تتيح للطفل قدراً من الاستقلال وتوسع صلاته الاجتماعية ، إذ يصبح قادراً على التجوال فى المدينة واللعب مع أطفال المدارس الأخرى والذهاب إلى السينما . كما أنها تقربه من الواقعية بفضل مناهجها وماتعالجه من موضوعات عن البيئة المحلية وغير المحلية .

مركزية الذات : Egocentricity

ومن أظهر الفوائد التطبيعية للمدرسة الابتدائية أو مايعادلها انتزاع الطفل من

مركزية الذات» التى تسيطر على تفكيره ولغته وسلوكه الاجتماعى من الرابعة حتى السابعة من عمره وما بعدها بقليل فيايراه « بياجيه» Piaget فالطفل حتى هذه السن يكون شديد الخضوع لدوافعه وحاجاته ، مستغرقاً فى اهتماماته وأموره الخاصة ، بما يجعله عاجزاً عن الاهتمام بمشاعر الغير وشئونهم والتعاون معهم عاجزاً عن تقدير الأمور والحكم على الناس والأشياء من وجهة نظر الغير ، بل من وجهة نظره وحده . غير أن دخول الطفل المدرسة يكون له أثر كبير فى زوال هذه الظاهرة ففى المدرسة لايعود الطفل مركز العالم بل جزء من العالم مساو للآخرين . وقد يتوق إلى ما كان يظفر به فى البيت من مدح وتقدير لكنه يرى أن أترابه فى المدرسة يمنحونه ذلك أو يمسكون عنه على أساس رغبتهم هم لارغبتهو

وتعتبر مركزية الذات من المميزات البارزة لسلوك صغار الأطفال . وهى تفسر لنا مايبدو فى سلوكهم تجاه أترابهم وصغار الحيوانات من قسوة وعنف ، حتى قيل إن عهد الطفولة لا يعرف الرحمة .فمركزية الذات تحول دون الطفل أن يضع نفسه موضع الآخرين ، ومن ثم يعجز عن استشفاف آلامهم والآلام التى يسببها لهم . كما أنها من الصفات البارزة للمصابين بأمراض نفسية وقد تبقى هذه الصفة وتدوم إن لم تعالج .

موجز القول أن الطفل فى مرحلة المدرسة الابتدائية يبدأ فى تكوين علاقات اجتماعية خارج الأسرة يبدو فيها التعاون والاستقلال فى آن واحد مما يهيئه للتطور الاجتماعى الكبير فى مرحلة المراهقة . وإن اتصاله بزملائه فى المدرسة ورفاقه فى اللعب يعلمه الأخذ والعطاء ، ويعطيه فكرة عن الحق والواجب ، وإلا نشأ شغوفاً بما له من حقوق غافلا عما عليه من واجبات . وهذا عيب خطير فى كثير من المجتمعات.!

ويتوقف نجاح الطفل فى التكيف لهذه البيئة وكذلك قدرته على التعلم على صحته وذكائه واتزانه الانفعالى ونوع تربيته فى البيت — هل

كان معرضاً لضغط شديد أو لحماية زائدة أو تلهف أو تدليل ؟. أما الذين يفشلون فى هذه البيئة الجديدة ، فقد يصيبهم اضطراب فى شخصيتهم أو ينكصون إلى التبول اللإرادى أو أحلام الكابوس ومص الأصابع أو سورات الغضب أو الهروب من البيت ... وقد تزول هذه المظاهر الشاذة بعد مدة أو تلازمهم حتى عهد الكبر

مرحلة الكمون Latency Period

يرى أصحاب مدرسة التحليل النفسى الفرويدى أن الطفل بعد أن يجتاز المأساة العائلية التى تتمثل فى «عقدة أوديب» — حوالى السادسة من العمر — تدخل الغريزة الجنسية فى طور كمون حتى مطلع المراهقة (٦ — ١٠ سنة) تقريباً، وهو الذى نسميه مرحلة الطفولة المتأخرة (ص١٠٤). ويعتقد الفرويديون أن الدوافع الجنسية القوية وحب الاستطلاع الجنسى التى كانت ظاهرة فى سن الخامسة ، تتعرض للكبت فى فترة الكمون ، كما تهدأ الانفعالات الصاخبة التى تتميز بها مرحلة الطفولة المبكرة حتى تنشطها أحداث المراهقة وتغيراتها .. هذا الكمون والهدوء تحددهما عوامل فطرية . ومن ثم كانت مرحلة الهدوء هذه مناسبة لدخول المدرسة .

غير أن مدارس التحليل النفسى الجديدة ترى أن مرحلة الكمون تغشاها أنشطة واهتمامات جنسية شتى متزايدة لكنها مرهونة إلى حد كبير بعوامل حضارية لا فطرية . فالنشاط الجنسى ظاهر وشائع عند أطفال كثير من القبائل البدائية خلال هذه المرحلة . فإن بدا هذا النشاط فاتراً نسبياً فى بعض الحضارة الأمريكية المعاصرة مثلا ، كان ذلك نتيجة للضغط الاجتماعى ، أو لأن السلوك الجنسى للاطفال قد تعرض لعقاب شديد فى مرحلة ما قبل المدرسة . أو لأن ظهور ميول اجتماعية جديدة لدى الأطفال خلال هذه المرحلة قد غطى وحجب النشاط الجنسى فيها . ويصرح «كنزى» Kinsey فى تقريره الشهير أن الاستمناء واللعب الجنسى شائعان جداً خلال هذه المرحلة ، لدى الأطفال الأمريكيين المعاصرين .

١١ — التطبيع فى المراهقة

الجزء الأكبر والأسبق من مرحلة الشباب يسمى مرحلة المراهقة ،

وهى المرحلة التى تبدأ من البلوغ — وهو سن القدرة على التناسل — وتنتهى فى مجتمعنا حوالى سن ٢٢ ، وتختلف بداية هذه المرحلة وطولها باختلاف الشعوب والجنس .

من التغيرات البارزة التى تطرأ على شخصية المراهق ، والتى ترجع إلى عوامل فسيولوجية واجتماعية ، اشتداد الرغبة الجنسية ، وميل المراهق ميلا عارما إلى التحرر من قيود الأسرة ، وجنوحه إلى الاعتداد الشديد بنفسه وتوقه الشديد إلى الاستقلال المفرط ، فهو يريد أن يقرر أموره بنفسه دون تدخل والديه ، وأن يختار أصدقاءه وملابسه ومطالعاته بنفسه على غير ما تفرضه الأسرة . كما تشتد حاجته إلى الانتماء إلى جماعة رياضيةأو اجتماعيةأوثلة من ثلل الشباب تجمع بين أفرادها هواية معينة أو حىواحد، وذلكلشعوره أن الأسرة لا تهتم به وأن الجماعة ترضى مالديه من حاجات نفسية كثيرة لايرضيها البيت ولا المدرسة ، لذا فهو يسعى إلى الاندماج فى واحدة منها ويفرغ عليها من ولائه واحترامه لقوانينها الشىء الكثير . حتى قيل إن المراهقة مرحلة فطام من السلطان الفردى للأب والمدرس إلى سلطان الجماعة . هذا الانتماء ينمى قدرته على الحكم على مشاعر الآخرين ، وما يتوقعونه منه ، وعلى موقفهم من سلوكه ، ومنه يتعلم بعض حقوق الغير . الواقع أن هذه الجماعة من أهم العوامل فى تطبيع المراهق . فهو يعلق أهمية كبرى على آراء زملائه فيه ، ويعمل على محاكاتهم فى سلوكهم واتجاهاتهم وميولهم وطموحهم وحتى وملابسهم .

أزمة المراهقة :

ومرحلة المراهقة تزخر ، عند الشعوب **المتحضرة** ، بكثير من الأزمات النفسية والمشاكل السلوكية . خاصة فى شطرها الأول الذى يلى مرحلة الطفولة ، ثم تخفت حدة هذه الأزمة تدريجيا حتى يصل المراهق السوى فى نهايتها إلى درجة كافيةمن الاتزان الانفعالىوالنضجالاجتماعى(١) من علامات هذه الأزمة:

---

(١) يتلخص فى (١) القدرة على التوافق الاجتماعى (٢) الحساسية لمشاكل المجتمع والتفطن إليها (٣) الاشتراك فى الخدمات الاجتماعية والعمل على إصلاح القيم الفاسدة فى المجتمع .

١ — شعور المراهق بالخوف والقلق لأنه قادم على عالم جديد يجهله ، وليس لديه من الحكمة والخبرة ما يستطيع به أن يشق طريقه فيه ، ثم لأنه يخشى طغيان دافعه الجنسى فيفلت الزمام من يده . ومما يزيد قلقه رغبته الشديدة فى التحرر من رباط الأسرة ... سنده الروحى .

٢ — تقلبات مزاجية ظاهرة : فاذا بالمراهق يترجح سريعاً بين التحمس والفتور ، بين الإقدام والاحجام ، بين السيطرة والخنوع ، بين الخشونة والميوعة ، بين الرحمة والقسوة ، بين المحافظة والتطرف ، بين الروية والاندفاع ، بين الضحك والبكاء دون سبب ظاهر أو كاف يصر اليوم على حقه فى اتخاذ قراراته بنفسه ، ويلتمس النصح والمعونة غداً عند اتخاذ قرارات بسيطة .

٣ — ظهور مشكلات سلوكية من أخطرها التمرد والعدوان أو الانسحاب والهرب المادى أو النفسى من العالم فى أحلام اليقظة . وللتمرد صور مختلفة ، فقد يكون سافراً صريحاً كالتمرد على تقاليد الأسرة وأخلاقياتها وعقيدتها والمهن التى ترتضيها ، أو يبدو فى شكل مخالفات صغيرة فى الملبس أو تمضية أوقات الفراغ . وهو لايقف عند التمرد على الأسرة بل قد يتجاوزها إلى المدرسة والمجتمع والدين والتقاليد والنظم السياسية . بل إن ضيق المراهق بالاسرة وفقد مكانته فيها ، قد يدفعه إلى البحث عن جماعة جديدة تحل محل الأسرة ، وقد تكون جماعة اجرامية — فمن فقد القبول والتقدير فى جماعته بحث عن أخرى يجد فيها ماحرمته منه الجماعة الأولى . أما الانسحاب والانطواء فقد يكون من العنف بحيث يقذف به فى أحضان مرض نفسى أو عقلى .

ويتوقف نوع استجابة المراهق لهذه الأزمة على عوامل عدة منها : استعداده الفطرى ونوع تربيته فى الطفولة ، ومالاقاه من صدمات فى فى حياته : (١) فمنهم من يجتاز الأزمة بسلام ويستجيب لها استجابة واقعية موفقة ، (٢) ومنهم من يظل فى حالة من التردد والحيرة الموصولة

يلتمس العون والسند والأرشاد ، (٣) ومنهم من يصطنع محاولات عصابية للتخفف من التوتر والقلق كالعدوان والانسحاب ، (٤) وفريق يجدون فى الجريمة أو المخدرات مخرجاً ، وآخرون لايكفيهم الا الذهان (الجنون) .

أسباب الأزمة :

تنشأ هذه الأزمة من تضافر عوامل جسمية ونفسية واجتماعية شتى تخلق فى نفس المراهق طائفة من الصرعات تزيد من توتره وقلقه . من هذه العوامل :

١ ــ التغيرات الجسمية والفسيولوجية السريعة المفاجئة فى شكل المراهق وحجمه ومظهره وخرقه فى الحركة وازدياد رغبته فى الأكل .. هذا إلى ظهور أحلام الإمناء عند الذكور ، وظهور الطمث عند الاناث . وكذلك بعد الشقة بين تكوينه الجسمى الفعلى وبين ما يرجوه لنفسه من تكوين متسق قوى أو جميل .

٢ ــ تدفق طائفة من الدوافع الجديدة الغريبة يسبب له الكثير من الحيرة والارتباك. فالى جانب اشتداد الدافع الجنسى ، هناك الرغبة الشديدة فى الاستقلال وفى توكيد الذات .. وهى دوافع لابد أن تلاقى موانع وعوائق من المجتمع ومن الأسرة ومن ضمير المراهق مما يسبب له صراعات نفسية شتى .

٣ ــ إضطرار المراهق إلى التخلى عن كثير مما أكتسبه من عادات واتجاهات ، وإلى تعلم أدوار جديدة مختلفة إزاء والديه وازاء الجنس الآخر وازاء الغير. فالمراهقة أزمة تكيف وفطام . هذا فضلا عن اضطراره إلى إعادة النظر فى (فكرته عن نفسه) التى كونهافى الطفولة (انظرص١٣٠) .

٤ ــ ومن أهم العوامل الاجتماعية فى هذه الأزمة موقف الكبار وأسلوب معاملتهم له وما يحيطونه به من قيود يراها تعسفية أو لا معنى لها : إن تصرف كالطفل سخروا منه ، وإن تصرف كالكبير ضحكوا عليه . إن اقترب من جماعة الكبار أعرضوا عنه ، وإن ارتد إلى جماعة

الطفولة لم يرحبوا به . كل أولئك يجعله يشعر أنه غريب عن عالم الصغار دخيل على عالم الكبار ، فكأن المراهق فى وضعه هذا مسافر وصل إلى الحدود وأغلقت من ورائه أبواب الطفولة ، لكنه لا يحمل جواز سفر يسمح له باجتياز الحدود .

هذه العوامل والظروف المختلفة من شأنها أن تخلق فى نفس المراهق **طائفة من الصراعات** : تزيد من شدة توتره وتقلبه . من هذه الصراعات

(١) صراع بين شعوره الشديد بذاته وشعوره الشديد بالجماعة .

(٢) صراع بين مغريات الطفولة ومخلفاتها وبين مغريات الرجولة ومتطلباتها . فالمراهق يجتاز مرحلة لا يعود فيها طفلا ولا يكون فيها رجلا فهو يحن إلى الطفولة تارة ويتلهف على الرجولة طوراً . والمعروف أن عدم إنتماء الفرد إلى جماعة محددة يشعره بالاغتراب ويزيد من توتره الانفعالى.

(٣) صراع بين ميله الجديد إلى الاستقلال وتوكيد ذاته وبين رغبته القديمة فى الاعتماد على غيره . أو بين رغبته فى الاستقلال وخوفه من الاستقلال . ويشتد هذا الصراع فى المراهقة المتأخرة (١٨ ــ ٢١سنة) حين ينتظر من المراهق أن يبدأ فى تحمل مسئوليات الراشدين .

(٤) صراع بين طموحه الزائد وبين قلة حيلته أو نفوره من الاعتراف بعجزه ــ بين الواقع ومثالية الشباب .

(٥) صراع جنسى بين الدافع المتحفز وبين تقاليد المجتمع أو بينه وبين ضمير المراهق. ويلاحظ أن العلاقة بين الفتى والفتاة تكون أول الأمر علاقةرومانسية تخلو من الاهتياج الجنسى الجامح ثم تتبدل الحال تدريجياً إلى رغبة جنسية صريحة يعبر عنها بالرغبة فى الزواج .

(٦) صراع دينى بين ماتعلمه من شعائر وهو صغير عن طريق التلقين والتقليد ، وبين ما يصوره له تفكيره الناقد الجديد .

(٧) وأعنف هذه الصراعات هو الصراع الثقافى بين جيله والجيل الماضي ، خاصة فى مراحل التغير الاجتماعى السريع أو العنيف . إنه

صراع بين ضميرين . وهو يزداد حدة حين يرى المراهق أن الآراء التى يؤيدها الآباء بقوة يعارضها أناس أعلى قدراً وأكثر حكمة من الآباء .

وفى كلمة موجزة نقول إن أسباب أزمة المراهقة تتلخص فيما يبذله المراهق من جهود للتوافق مع نفسه ومع الآخرين .

منظمات الشباب :

وقد وفقت منظمات الشباب الرسمية وغير الرسمية إلى معونة كثير من المراهقين على اجتياز هذه الأزمة بسلام وكانت أداة مفيدة وبناءة فى تطبيع المراهقين . فقد أعانت المراهق على اكتشاف نفسه ، على اكتشاف قدراته وامكاناته الخافية أو المهملة ، ونواحى القوة والضعف فيه وبذا فهى تسهم فى تنمية فكرته عن نفسه وفى تصحيح هذه الفكرة كما أرضت كثيراً من حاجاته النفسية كالحاجة إلى الأمن وإلى التقدير وإلى الانتماء وإلى الاستطلاع . ولنذكر أن اختلاط الجنسين فى هذه المنظمات ذو قيمة صحية بالغة ، فهو يبدد الأفكار الغامضة التى يخلقها الخيال ، ولا يصححها الواقع ، فى نفس الجنس الآخر . هذا فضلا عن أنها وجهت المراهق إلى استثمار وقت فراغه ، وباعدت بينه وبين الملل ، كابوس اليقظة . ووقته من الانطواء على نفسه ومن حياة الترهل والنعومة ، وحفزته على الاشتراك فى النشاط الاجتماعى المنظم الهادف الذى يعتبر بمثابة علاج نفسى . فلا شىء يؤدى إلى تكامل شخصية الشاب واتزانها مثل تعبئة قواه المختلفة وقدراته واهتماماته لعمل شىء يرضى نفسه ويرضى المجتمع .

ومن الفوائد التطبيعية لهذه المنظمات أنها تعين المراهق على **اختبار الواقع** وتقوى تكامله مع عالم اجتماعى أوسع وأرحب ، كما أنها تحرره من بعض صراعاته النفسية . فحين يرى المراهق أن المراهقين الآخرين حانقون أيضاً على آبائهم ، أو منشغلون أيضاً بالناحية الجنسية ، يخف توتره وشعوره بالذنب . وفيها يتعلم كيف يعالج ما يشعر به من كراهية وما يرغب فيه من سيطرة .

أما عن دور المدرسة الثانوية فى عملية التطبيع فقد أجريت بحوث واسعة النطاق فى الولايات المتحدة عن أثرها فى تكوين الشخصية والخلق فظهر أن أنجح المدارس فى هذه الناحية هى التى ترضى الحاجات النفسية الأساسية للمراهق وتعترف بشخصيته وتحترم ميوله وتتحدى تفكيره وتتيح له الفرص لكسب المهارات الاجتماعية ، والتى تكون على اتصال بالبيت بما يقى الطالب من التعرض للقيم المتعارضة بينهما . هل تزوده باتجاهات وقيم يعجز البيت عن تزويده بها ؟ هل تزوده بأسلحة للكفاح فى الحياة العملية ؟ هل تتصل به لتفهم مشكلاته وتوجيهه وحل أزماته؟ هذا كله بشرط أن يكون المعلمون ممن تكاملت شخصياتهم واتزنت ، وممن يتمتعون بروح اجتماعية عالية .

١٢ ــ أثر الدور الاجتماعى فى الشخصية

الدور Role هو نمط السلوك الذى تنتظره الجماعة من فرد ذى مركز معين فيها فالمجتمع ينتظر من الرجل غير ما ينتظره من المرأة ، ومن الراشد غير ما ينتظره من الطفل ، ومن الطفل ذى العاشرة غير ما ينتظره من ذى الثالثة ومن الأب أن يوجه أولاده ويعلمهم ويحميهم ويؤدبهم .. وغنى عن البيان أن الدور يختلف باختلاف ثقافة المجتمع وباختلاف سن الفرد وجنسه ومهنته . ولقد رأينا من قبل كيف تؤثر ثقافة المجتمع فى الدور الذى يقوم به الفرد وتحدده . إذ رأينا النساء فى بعض الشعوب البدائية يتسمن بسمات الرجال ، ويقمن بأعمال الرجال فى الثقافات الغربية (أنظر ص٥١٥)

وكل دور يفرض على صاحبه أن يتسم بسمات معينة وأن يتخلى عن سمات أخرى . فدور الأب غير دور القاضى غير دور الشرطى أو مأمور الضرائب . وأستاذ الجامعة تصفه الروايات والأفلام بأنه شارد الذهن ، مرتبك ، غير عملى فى حين تصف الطبيب بأنه شخص حازم صبور ذو سلطة ونفوذ ، هذا إلى أنه يعرف كل شىء .. بل إن اختلاف

سمات الشخصية للافراد الذين يزاولون مهنة معينة عن سمات من من يزاولون مهنا أخرى كان الأساس لصوغ استخبار ناجح لقياس الميول المهنية لـ «سترونج» (أنظر ص ٤٣٩) ولقد فرضت الثقافة الغربية على الرجل أن يتسم بالتحدى والسيطرة والاكتفاء الذاتى والثقة بالنفس مما لم تفرضه على المرأة .. من هذا نرى أن للدور أثراً كبيراً فى تنمية بعض سمات الشخصية أو تعطيلها أو تضخيمها أو الانحراف بها أحياناً . ولا يخفى أن عجز الفرد عن أداء دوره كما يجب مما يهز فكرته عن نفسه ويمس عاطفة احترامه لذاته بما قد يعرضه لصراع نفسى شديد يتهدد شخصيته .

ويرى (مورينو) Moreno أن شخصية الفرد تنمو وتتطور من خلال تعدد الأدوار الاجتماعية التى يقوم بها ، وأنه كلما تعددت هذه الأدوار زادت مرونة شخصيته .

صراع الأدوار :

يندر أن يقوم الفرد العادى بدور واحد بل بأكثر من دور فى حياته ، فيكون الرجل ابنا وأباً وزوجاً وصديقاً وموظفاً وعضوا فى ناد .. وتكون المرأة زوجة وأما وعاملة وعضواً فى جمعية .. وقد تنسجم متطلبات هذه الأدوار بعضها مع بعض أو تتصارع وتتنافر بحيث لا يستطيع الفرد التوفيق بينهما مما يكون له أثر سيء فى شخصيته ، فمن العسير على الممثل أو الموسيقى الذى ينفق وقت عمله بالليل أن يقيم حياة منزلية مستقرة . وقل مثل هذا فى التاجر المتنقل الذى يضطره عمله إلى ترك منزله فترات طويلة ، أو الموظف الذى يضطر إلى مقابلة رؤسائه بوجه ومقابلة مرؤسيه بوجه آخر مختلف كل الاختلاف مما لا يرتاح اليه .

ويبدو أثر الصراع بين الأدوار بشكل واضح حين يتغير اتجاه الفرد فى الحياة أو حين تضطره الظروف إلى ذلك مما قد يؤدى به إلى أزمات نفسية عنيفة ، وتلك حال الطفل عند دخوله المدرسة لأول مرة ،

وحال الصبي فى مبتدأ سن البلوغ ، أو حين ينتقل الشاب من الجامعة إلى ميدان العمل ، أو من الحياة المدنية إلى الحياة العسكرية ، أو من حياة العزوبية إلى الزواج ، أو حين ينجب طفلا ، أو يتقاعد عن العمل ذلك أن الانتقال من دور الى دور نوع من الفطام والتكيف للجديد وكل فطام عسير لأنه يقتضى من الفرد التنازل عن عادات مألوفة والأخذ بأخرى جديدة غير مألوفة .

١٣ – الفوارق بين الشخصيات

رأينا من دراسة الذكاء أنه قدرة عامة فطرية موروثة ، وأن الفوارق الفردية فى الذكاء ترجع فى المقام الأول إلى الوراثة . ونتساءل الآن : أيهما أهم فى تعين شخصية الفرد وفى التميز بين شخصيات الأفراد ، البيئة أم الوراثة ؟ والجواب على هذا يتوقف على مفهوم الشخصية كما نأخذ به . فإن كنا نرى أن الشخصية وحدة من سمات اجتماعية وخلقية ليس غير ، فالفوارق بين الشخصيات ترجع إذن إلى العوامل البيئية وحدها ، وأن كنا نرى أنها وحدة من سمات اجتماعية وخلقية وعقلية وجسمية ومزاجية ، فلابد أن نعمل للوراثة حساباً فى تكوين الشخصية وفى الفوارق بين الشخصيات ، لأن المزاج تقرره الوراثة إلى حد كبير .

الرأى السائد اليوم أن الفروق الفردية بين الشخصيات ترجع إلى كل من الوراثة والبيئة مع ترجيح أثر البيئة (١) . صحيح أن السمات الاجتماعية لابدأن يكتسبها الفرد فليس فى طبيعة التكوين الوراثى للهنود ما يجعلهم يقدسون البقر ، أو فى طبيعة الأمريكيين ما يجعلهم يكرهون الزنوج ، أو فى طبيعة اليابانيين ما يجعلهم يؤلهون الأباطرة ، غير أننا لا نستطيع أن ننكر أثر الوراثة فى تكوين بعض السمات كالجمال والحيوية وهما من العوامل التى تؤثر تأثيراً قوياً فى نمو الشخصية .

---

(١) نشير بهذا الصدد إلى أن أحدث توكيد لأثر العوامل الثقافية فى نمو الشخصية بعامة ، وفى نشأة الأمراض النفسية بخاصة ، يرجع إلى مدارس التحليل النفسى الجديدة .

أما الذين يرون أن الشخصية مركب اجتماعى صرف ، وأنها مجرد انعكاس لثقافة المجتمع . فيغفلون عما بين الأفراد من فوارق ترجع إلى عوامل وراثية وبيولوجية . كأن الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء تنقش عليها البيئة والتربية ما تريد . وهناك أدلة عدة تحتج بها على هؤلاء منها :

١ ــ أن التوائم الصنوية ، أى متطابقة الوراثة ، إن نشأت فى بيئات اجتماعية وثقافية مختلفة ، فإنها تبدى تشابها ملحوظاً فى سماتها المزاجية منذ الأسابيع الأولى لميلادها وتظل هذه السمات ملازمة لها طول الحياة ، فى حين أن التوائم اللاصنوية التى تنشأ فى بيئة واحدة تبدى اختلافاً ملحوظاً فى سماتها المزاجية من سن مبكرة جداً .

٢ ــ كما اتضح أن الأطفال المشكلين من سمات خلقية منحرفة إن انتقلوا من بيئتهم إلى بيئة أخرى أصلح منها تحسنت سماتهم الخلقية وبقيت سماتهم المزاجية كما هى دون تغيير .

٣ ــ ثم لماذا تختلف شخصية الأفراد الذين ينشئون فى بيت واحد أو ينتمون إلى طبقة اجتماعية واحدة ، أو يقومون بأدوار اجتماعية واحدة؟ صحيح أن البيت الواحد أو الطبقة الاجتماعية الواحدة ليسا بيئة سيكولوجية واحدة لجميع من بهما من الأفراد ، لكنهما من دون شك أكثر تجانسا وتشابها إن قيسا إلى بيوت أخرى أو طبقات اجتماعية مختلفة .

موجز القول أننا يجب أن نعمل لكل من الوراثة البيولوجية والبيئة حساباً فى تعيين شخصيات الأفراد وما بينها من فوارق . والذى نريده توكيده هو أن الشخصية ليست نتيجة اضافية عددية لهذين العاملين بل نتيجة تفاعل بينهما . إن البيئة لاتشكل الفرد كما يشكل الصانع الصلصال ، بل انها تحفزه كما يحفز السوط الحصان . فالسوط لايزيح الحصان إلى الأمام بل يستحثه على السير بنشاطه الذاتى وجهده الخاص وما لديه من دوافع . فطفلان مختلفان فى الوراثة ــ فى درجة التأثر الانفعالى وتحمل الحرمان مثلا ــ

تختلف استجابتهما لنفس النوع من المعاملة البيئية ، هذا يستجيب للمعاملة القاسية بالتمرد والعدوان ، وذلك بالاستسلام والاستكانة ، وشخصان مختلفان فى الوراثة يختلف أسلوب أدائهما لنفس الدور الاجتماعى ، هذا يؤديه فى لين ورفق ، وذلك فى غلظة وعنف . والنار التى تذيب الدهن هى نفسها التى تجعل البيض يتجمد . ومن ناحية أخرى فشخصان لهما نفس الوراثة ، كالتوأمين الصنوين ، قد يصبح أحدهما مجرماً والآخر صالحاً لاختلاف البيئة التى نشآ فيها .

١٤ — تغير الشخصية وتغيرها

تنمو الشخصية وتتغير سريعاً فى السنوات الأولى من العمر ، ثم يأخذ هذا النمو والتغير فى الإبطاء حتى إذا تجاوز الفرد مرحلة الشباب المبكر لا يكون هذا التغيير ملحوظاً . وتتغير الشخصية بتغير السمات والعادات والاتجاهات والميول والخبرات وطرق التفكير وفكرة الفرد عن نفسه .. وكما تتغير الشخصية بتغير هذه المقومات ، فإن الشخصية متى تغيرت غيرت هذه المقومات فتزداد قدرة الفرد على التكيف للمواقف المختلفة .

ومما يجدر ذكره أن السمات المزاجية يصعب تغييرها إلا فى حدود طفيفة جداً ، وأن السمات العصابية السيئة التى رسخت منذ الطفولة المبكرة لا يمكن أن يغيرها الراشد الكبير بمجهوده الخاص بل بطرق علاجية ، واننا كلما بادرنا إلى تقويم سمات الطفولة المبكرة كانت أقرب إلى التحور والتحسن ، مما لو تركت تشب مع الطفل .

هذا الشخص المعتدى قد يرجع عدوانه إلى : ١ — أن العدوانية سمة مزاجية فطرية لديه كما فى الشخصيات الصرعية ، أو ٢ — لأن أباه كان عدوانياً فتقمص العدوانية منه فى الطفولة المبكرة ، أو ٣ — لأن ثقافة المجتمع فرضت عليه العدوانية كما فى بعض الشعوب البدائية . أو ٤ — لأنه ينتمى إلى طائفة منبوذة مكروهة كاليهود والزنوج ، أو ٥ —

لأن رئيسه أهانه منذ خمس دقائق وهذا سبب موقفى طارىء ، أو ٦ – لأن إدارة المؤسسة التى يعمل فيها تضطهد الجماعة التى هو عضو منها ، وهذا سبب موقفى واجتماعى .. وفى الحالتين الأخيرتين فقط نستطيع أن نحدث تغيراً بطرق بسيطة .

وحين تقول مدرسة التحليل النفسى إن السمات الرئيسية لشخصية الراشد وخلقه توضع أصولها فى مرحلة الطفولة المبكرة فهذا لا يعنى أن الفرد يصبح بعد الطفولة عاجزاً عن التعلم والتكيف ، بل يعنى أن ما انطبع فى نفوسنا من آثار ، وما كسبناه من عواطف واتجاهات وعادات إبان هذه المرحلة يكون له أثر دائم فى شخصياتنا . فنحن نرى الشباب الكبار يتكيفون غالباً بصورة مرضية للبيئات الثقافية الجديدة ، وكما يستطيع الانسان تعلم لغة جديدة فى سن متقدمة ، كذلك يستطيع اكتساب عادات جديدة ووجهات نظر جديدة إلى أهدافه ومثله . أما ما يظل مستعصيا على التغير فهو السمات والاتجاهات التى تكونت فى محيط الأسرة كالخجل أو الجرأة ، الحرص أو التعجل ، التفاؤل أو التشاؤم ، العدوانية أو المسالمة ، الاتكال أو الإستقلال ، الارتياب أو الثقة فى النفس وفى الناس النظام أو الإهمال .. هذا إلى اتجاهاتنا الدينية والقومية والسلالية .

وتغير الشخصية قد يحدث عن قصد كما نغير وزن أجسامنا بتغيير نوع الغذاء ومقداره ، أو عن غير قصد كما يتغير وزن أجسامنا دون أن نقصد إلى زيادته أو نقصانه .

ولنذكر أن كثيراً من الناس يستطيعون تغيير بعض جوانب شخصياتهم بمجهودهم الذاتى ، لكنهم لا يفعلون لأنهم يرضون بأنفسهم كما هم عليه . وهذا الرضا يمنعهم من أن يعترفوا لأنفسهم بأن لديهم سمات يمكن تحسينها .

إن تحسين الشخصية يقتضى تغيير اتجاهات راسخة وميول متأصلة وعادات سيئة وأسلوب حياة فاشل ، وفكرة خاطئة للفرد عن نفسه .. وليس تغيير هذه الاتجاهات المختلفة بالأمر اليسير دائماً . بل كثيراً مايتطلب

إرشاداً نفسياً أو علاجاً نفسياً . ذلك أن الاتجاهات تكون مشحونة دائماً بشحنات انفعالية قد تكون شديدة ، لذا لا يجدى المنطق ولا الوعظ أو النصح أو المحاجة فى تغيرها ، فمنطق العاطفة غير منطق العقل . إنما المجدى هو أن نساعد الفرد على أن يفهم كيف نشأت هذه الاتجاهات ؟ وفى أية ظروف ؟ أى مساعدته على الاستبصار فى نفسه . فإذا رأينا شخصاً يكره جماعة من الناس ، أو مذهباً معيناً ، أو يتشبث بفكرة خاصة ، فمن العبث انفاق الوقت والجهد فى صوغ حجج تناهض هذا المذهب أو الفكرة .. مثل من يستعين بالمنطق فى هذه الحال كمثل من يستعين به لعلاج شخص يخاف الفيران أو الظلام أو غير تلك من المخاوف الشاذة !..

أسئلة فى الشخصية

١ ــ وازن بين تعريف الشخصية فى اللغة الدارجة والتعريف المقدم فى هذا الكتاب .

٢ ــ بين على ميزان تقدير بيانى قوة الدافع الى التقدير الاجتماعى لدى عدة أشخاص ممن تعرفهم جيداً .

٣ ــ أعمل قائمة بعشرة أسئلة يمكن أن تستخدم فى استخبار يقيس سمة السيطرة أو الخضوع .

٤ ــ صمم اختباراً موقفيا لتقدير السمات الآتية : عدم الاكتراث ، القدرة على كتم السر ، القابلية للايحاء .

٥ ــ كلما اعتمد الحكم على الشخصية على القياس الموضوعى كان دقيقا لكنه يكون سطحيا ، وكلما اعتمد على التقدير الذاتى كان عميقا لكنه يكون غير دقيق اشرح هذه العبارة .

٦ ــ ماهى الأخطاء التى يحتمل أن يقع فيها رئيس هو يقدر شخصيات مرءوسيه؟

٧ ــ الى أى حد نستطيع الحكم على شخصية فرد من نوع حديثه وطريقته فى الحديث ؟ .

٨ ــ كيف يمكن تفسير نمو الشخصية بنظريات التعلم ؟ .

٩ ــ بين دور التعلم الشرطى فى تكوين سمات الخجل والتعاون والأمانة

١٠ ــ يزداد نمو الشخصية باتساع الصلات الاجتماعية للفرد ــ اشرح .

١١ ــ ما أهم تغيرات المراهقة التى ترجع الى النضج الطبيعى ، وتلك التى ترجع الى التعلم ؟ .

١٢ ــ ما أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين الشخصية فى مرحلة الطفولة المبكرة وفى المراهقة ؟ .

١٣ – وازن بين أثر الأسرة فى مرحلتى الطفولة المبكرة والمراهقة على شخصية الفرد .

١٤ – ما أهم العوامل التى تعطل نمو الشخصية ؟ .

١٥ – ما المقصود بالصورة الدينامية للشخصية ؟ .

١٦ – أذكر أهم ما أضافته الدراسات الانثربولوجية الى سيكولوجية الشخصية .

١٧ – ناقش الرأى الذى يقول إن المجتمع مرآة يرى الفرد فيها نفسه .

١٨ – القول بأن الشخصية مرآة تنعكس عليها ثقافة المجتمع ، قول حق لكنه ليس كل الحق – لماذا ؟ .

١٩ – بين بالمثال كيف أننا لا نستطيع أن نفهم شخصية فرد اذا فصلنا بينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه .

٢٠ – تؤثر ثقافة المجتمع فى أفراده وتتأثر بها – اشرح .

٢١ – كل فرد منا يشبه جميع الناس من بعض الوجوه ، ويشبه بعض الناس من بعض الوجوه ، غير أنه فى الوقت نفسه لا يشبه أحداً غيره من الناس – ناقش واشرح .

٢٢ – الى أى حد ساعدتك دراسة علم النفس على فهم شخصيات من يعاشرونك من الناس ؟ .